

أنوار القدوة

شذرات من سيرة أبي

الشيخ فهد بن سليمان القاضي رحمه الله

ح عبدالله بن فهد بن سليمان القاضي، ١٤٤٥هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القاضي، عبدالله بن فهد بن سليمان

أنوار القدوة شذرات من سيرة أبي (الشيخ فهد بن سليمان القاضي)
رحمه الله/ عبدالله بن فهد بن سليمان القاضي- ط١- الرياض ١٤٤٥هـ
٠٠ ص ؛ ٠٠×٠٠سم
ردمك: ٩-١١٩٦-٠٥-٦٠٣-٩٧٨

رقم الإيداع ١٤٤٥/٢٣٣٩٤

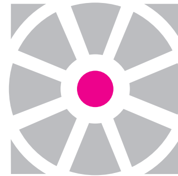
رقم الإيداع: ١٤٤٦/٢٣٣٩٤
ردمك: ٩-١١٩٦-٠٥-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م



المملكة العربية السعودية - الرياض
daralhadarah@hotmail.com
الرقم الموحد : 920000908 الفاكس : 2702719 – 011
 @daralhadarah 0551523173
زوروا متجر الحضارة
daralhadarah.net



الطبعة الأولى
١٤٤٦هـ ـ ٢٠٢٤م

أنوار القدوة

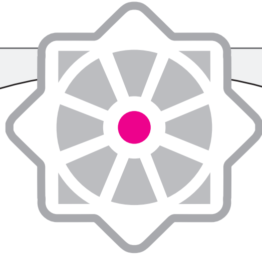
شذرات من سيرة أبي

الشيخ فهد بن سليمان القاضي رحمه الله

١٣٧٧هـ ـ ١٤٤١هـ

كتبها

عبد الله بن فهد القاضي




بسم الله الرحمن الرحيم



بسم الله الرحمن الرحيم

الشيخ فهد القاضي

لِمَ أكتب فيه هذه الورقات؟

أكتب هذه الصفحات عن رجل عرفه وصحبه كثيرون، وكانت سيرته مدرسة لمن صحبه أو تتلمذ عليه، وبالكتاب أرجو أن تكون سيرته قدوةً ومناراً باقيا لآخرين لم يصحبوه ولم يروه.

ولأولئك الذين صحبوه بعض الصحبة، أو عرفوه بعض المعرفة أكتب أيضا هذا الكتاب، فكثير منهم يعرفون (الشيخ فهد القاضي) محتسبا، أو داعية، فلهؤلاء أيضا أكشف جوانب من سيرة هذا الرجل؛ رجاءَ أن تمتدّ بركتها وثواب الاقتداء بها بعد موته، فـ «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا»[١].

وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ﴾ [يس: ١٢].

---

(١) رواه مسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه، برقم (٢٦٧٤).

قال ابن عباس وغيره: (آثارهم): ما أَثَروا من سُنَّة حسنة أو سيِّئة يُعْمَل بها بعدهم[١].

راجيا من الله الكريم أن يجعل للوالد لسان صدق في الآخرين، وأن يُلحقني وقارئ هذه الأسطر بالصالحين...

ابنه/ عبد الله

Ma3bad@gmail.com

---

(١) زاد المسير (٣/٥١٩).



النشأة

هو فهد بن سليمان بن محمد القاضي.

وأسرة (القاضي) من ذُرية وُهَيب بن قاسم، من بني تميم، من أهل عنيزة.

وُلد رَحِمَهُ ٱللَّهُ عام ١٣٧٧، وأُمه مضاوي بنت عبد الله الشبل.

نشأ رَحِمَهُ ٱللَّهُ نشأة صالحة، وأنبته الله نباتا حسنا.

كان أبوه رَحِمَهُ ٱللَّهُ يُلقّبه: عمر بن عبدالعزيز؛ لصلاحه.

وأحيانا يدعوه: يوسف؛ تشبيها بنبي الله يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في دماثة خلقه ومحبته له.

يقول أحد زملائه في السنة الثالثة المتوسطة:

همستُ إليه في الاختبار أستعلمه عن جواب سؤال، فردّ علي:

«من غش فليس منا»!

ويقول أحد أصدقائه القدماء:

في عام ١٣٩٢هـ كان أبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ إمام مسجد في وسط الرياض، وكان يستخلفني في الحديث على المصلين بعد الصلاة، فكنت

أستعين بالشيخ فهد في اختيار ما يناسب للقراءة، فيأتي بـ (زاد المعاد)، ويحدد مواضع بقلم الرصاص لأقرأها، وكان الشيخ فهد آنذاك في السنة الأولى الثانوية تقريبا.

وتقول أُخته الكبرى:

كان ـ وهو في الثانوية ـ يفطّر الصائمين في المسجد في رمضان، فيأخذ من البيت أطباقا فيها تمر، وإذا رجع إلى البيت بعد المغرب غسلها، كي لا يشق على أمي بغسلها.

ويقول أحد زملائه في الجامعة:

كنا في الفسحة ـ كما الطلاب ـ نجتمع فنتحدث أو نأكل، وكنت أراه في الفسحة يعتزل ناحيةً، فيفرش سجادته ويصلي.

ويقول هذا الزميل أيضا:

حججنا ونحن طلاب، وكان معنا الشيخ فهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فمرّ بنا في أحد أيام منى، ونحن جلوس نتسلّى بسماع محادثات الشرطة التي يلتقطها المذياع من أجهزة اللاسلكي، فوقف علينا وتلا قول اللّه تعالى ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ [الحجرات: ١٢]!

ولما كان في المرحلة الثانوية كان عازما على دراسة الطب، فقد كان هذا التخصص ـ ولا يزال ـ يستهوي كثيرا من الطلاب المتميزين.

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن نفسه:

كنت عازما عزيمة تامة على دراسة الطب، حتى كنت أرى الطب (مُفصّلا علي)!

لكن الوالد ما لبث أن انصرفت رغبته إلى دراسة الشريعة.

ولما علِم مَن حَوله برغبته هذه عارضه كثيرٌ منهم، ولاموه على تضييع فرصة دراسة الطب، لكنه ثبت على عزيمته.

فتخرج بالثانوية العامة، ولم تكن كلية الشريعة في الرياض آنذاك تقبل إلا طلاب المعاهد العلمية، فأُشير عليه بأن يدرس في الجامعة الإسلامية بالمدينة ثم يتحول منها إلى كلية الشريعة بالرياض، فكان ذلك، فدرس سنةً في الجامعة الإسلامية، ثم أتمّ دراسته في كلية الشريعة بالرياض، وبها تخرج، عام ١٣٩٨ ـ ١٣٩٩هـ.

وبعد تخرجه تزوج بالمرأة الصالحة، أمي: مضاوي بنت عبد الرحمن القاضي، حفظها اللّه.

تقول أمي:

رأيت في منامي بعد زواجنا أنه آخذ بيدي في طريق، وهو يجري بي جريا شديدا، وأرى الناس قعودا عن يمنة الطريق ويسرته، تقول: حتى أتينا جبلا عاليا فصعدناه حتى جاوزناه!

فمما أنعم اللّه تعالى به عليه: الاستقامة منذ نشأته، فكثيرا ما سمعت قدماء أصحابه وتلاميذه يقولون: هذا الشيخ الذي ترون

هو الشابّ فهد الذي عرفناه قبل أربعين سنة: زهدا، وعبادة، وورعا، وإصلاحا! كما هو، لم يتغير!

يقول أحدهم: كان الشيخ فهد القاضي يصلي في مسجدنا وهو في المرحلة الثانوية من الدراسة، وكانت هذه صلاته وهذا سمته منذ ذلك الحين!

فمن فضل الله تعالى عليه أن ثبّته على هدي واحد، وسمت واحد، على تقلّب الأيام وتحوّل أحوالها، فلم يعرف عنه تذبذب بين صعود وهبوط، وحماس وفتور، فالحمد لله كثيرا.

وما أحسب هذا الاطّراد في سيرته ـ ولا أزكيه على الله ـ إلا ثمرة سريرة صالحة، من الإخلاص والصدق، والله المستعان.

وجوانب القدوة في سيرته متعددة، وسأُشير إلى ما تيسر منها تحت أربعة فصول:

- العبادة.
- الزهد والورع.
- البر والإحسان.
- الدعوة والاحتساب.





العبادة

كان ـ رحمه اللّه تعالى ـ كثير العبادة.

أما الصلاة، فكان كثير الصلاة، طويلَها.

كان من عادته بين الأذان والإقامة أن يصلي الراتبة، أو الركعتين بين الأذان والإقامة، فيمدّ صلاته إلى أن تقام الصلاة، فإذا أقيمت الصلاة خفف ما بقي من صلاته ليُدرك تكبيرة الإحرام مع الإمام.

ويقول إمام مسجده:

لا أذكر أنه فاتته تكبيرة الإحرام يوما، إلا يوما واحدا، وكنت أنا تقدمت في إقامة الصلاة على الوقت المعتاد.

ومن عادته كثيرا أن يغتنم أوقات الانتظار بالصلاة، فإذا كان في مطار، أو في مراجعة إحدى الدوائر الحكومية، ذهب إلى المصلى إن كان ثمة مصلى، أو تنحى إلى زاوية من المكان ثم قام يصلي، وربما كان في مكان ليس من العادة أن يُصلّى فيه، أو

كان في صالة انتظار ملأى بأناس جلوس، فلا يمنعه ذلك من أن يصلي فيها.

وكثرة الصلاة مما اتفق عليه أصحابه الذين صحبوه في أسفاره الكثيرة، في السيارة والطائرة، فكلهم يقول: إنه إذا استقل السيارة دخل في الصلاة، ولم يزل في صلاة معظم الوقت، إلا أن يكون هناك أمر نحتاج إلى الحديث فيه، أو تناول طعام، أو راحة.

وربما شرط علينا إذا عرضنا عليه أن نصحبه أن يكون ركوبه في المقعد الخلفي ليخلو بالصلاة.

يقول أحد أصحابه:

سافرت أنا وإياه مرة، فصلى، ثم صلى، فانتهزت فراغه من إحدى صلواته فحدثته حديثا أريد أن أجتذبه إليّ، فأعطاني شريطا لأستمع إليه في الطريق ولا ينشغل عن صلاته.

وسافر مرة مع بعض أصحابه، فكان راكبا في المقعد الأمامي، فقال له أحدهم ـ وكان يجرؤ عليه ـ: لعلك تركب في الخلف يا أبا عبد اللّه؛ فأنت ستصلي، ونحن نريد أن نتحدث.

ويقول آخر:

واعدت الشيخ فهدا في ليلة من الليالي، فتواعدنا أن نلتقي في موقف من مواقف السيارات في الرياض، فأتيت وقد تأخرت

عن الموعد قليلا، فلما وقفت عند سيارة الشيخ وجدته قد فرش سجادته بين سيارته والسيارة التي تليه وقام يصلي.

ويقول أحد زملائه في التدريس:

كان أسبوع عودة المعلمين ـ قبل بدء العام الدراسي ـ أسبوعا ثقيلا، فكنّا نأتي للتوقيع على كُره، ونبقى في المدرسة ساعة أو ساعتين نتحدث، ثم نرجع إلى بيوتنا.

وكان الشيخ فهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ يأتي في أول وقت الدوام فيوقّع، ثم يصعد إلى غرفة النشاط الطلابي فيقوم يصلي، ويظل في صلاةٍ إلى الظهر، فإذا حضرت صلاة الظهر خرج إلى المسجد.

ويقول مُساعِده في مكتبِه:

اتصل بي الشيخ يوما فقال: أنا في الشارع الفلاني، فائتني.

فلما جئته وجدت سيارته مصدومة، فقال لي: كُن عند السيارة حتى يأتي المرور، وأَنْهِ ما يحتاج إلى إنهاء، ثم مشى إلى مسجد الحي وظلّ فيه يصلي!

كان هذا في آخر سنوات حياته، ثم نقل لنا أحد تلاميذه القدماء مثلها وهو في أوائل الثلاثين في عمره، قال:

كان الأستاذ فهد مدرّسا لنا في الثانوية، فخرج يوما من المدرسة بعد الظهر وركب سيارته، فلما همّ بالانطلاق أخطأ فصدم سيارة بجانبه صدمة خفيفة، فنزل من سيارته، وعرض

على صاحب تلك السيارة ما يلزم لتعويض الإصابة، فأبى صاحب السيارة إلا أن ينتظر مجيء المرور لتقدير الحادث، يقول: فرأيت الأستاذ فهدا أخذ من سيارته سجادة، وعمد إلى شجرة في الرصيف، ففرش تحتها سجادته، وظل يصلي إلى أن جاء المرور.

وصحبه أحد الفضلاء في رحلة دعوية عام ١٤١١ فكتب عن تلك الرحلة ولا سيما عن تعظيمه لشأن الصلاة، وأنقل ما كتبه كاملا (إلا شيئا يسيرا):

«يسّر اللّه لي أن أصحب الشيخ الفاضل فهد القاضي في رحلة دعوية إلى منطقة فطاني (جنوب تايلند) لتقديم دورات علمية وزيارة المعاهد والمدارس الإسلامية وعدد من المشاريع الخيرية التي يرعاها ويقوم بها أصحاب الأيادي البيضاء من أهل هذه البلاد المباركة، ولم أكن أعرف عن الشيخ فهد القاضي حينها إلا أنه شاب عابد مجتهد في طاعة اللّه، وقبل الرحلة زارني الشيخ في بيتي ورتبنا أمور الرحلة.

ولما وصلت المطار وجدت الشيخ بانتظاري؛ ولكونه يكبرني بعشر سنوات وتبدو على محيّاه سيما الوقار والطاعة فقد وقع في قلبي هيبته ومحبته، ورأيت من واجبي أن أخدمه وأقدّمه على نفسي كلما سنحت الفرصة، فأفتح الباب له، وأنازعه على حمل

متاعه، ولا أجلس حتى يجلس، فلما رأى ذلك مني قال لي بلطف وأدب كعادته التي لا يغيرها:

هل تعرف وصية النبي ﷺ لمعاذ بن جبل وأبي موسى لما بعثهما إلى اليمن؟

فقلت: نعم.

قال: ما هي؟

قلت: «يسّرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا».

قال: بقي ثالثة!

قلت: لا أعرفها.

قال: «وتطاوعا ولا تختلفا».

قلت: سبحان الله! لا أذكر أنها مرت بي!

قال لي: لا ينبغي لنا أن نختلف على شيء ولو كان على سبيل الإكرام والاحترام: تدخل قبلي أو أدخل قبلك، تركب أولاً أو ثانياً، تتقدم أو تتأخر، كل ذلك ينبغي أن يجري بيننا بغير خلاف ولا شد ولا جذب، فأنا واثق من محبتك وأنت كذلك.

فقلت: صدقت.

واتفقنا على أن تجري الأمور بيننا بكل تطاوع ويسر، ورأيت أثرها المحمود على صحبتنا، وقلت في نفسي هذا أول الخير!

ولما ركبنا الطائرة لم يلبث الشيخ غير قليل حتى استاك

وبدأ بالصلاة على مقعد الطائرة، وظننت أنه يقضي الفائتة، ولما انتهى شرع في أخرى؛ فعرفت أنه يتطوع بالصلاة ويقضي الوقت في أجلّ عبادة.

ولم يكن يفصل بين التسليمة والتي تليها إلا بالسواك، فإن كان الوقت نهياً فتح المصحف وظل يقرأ حتى أقطع القراءة عليه بسؤال أو حديث، أو يُقدّم لنا طعام أو يحتاج الشيخ للوضوء.

قلت في نفسي هذه الثانية!

ولم أكن رأيت في حياتي أحداً يتسلّى بالصلاة ويشتاق إليها ويتبشبش لها قبل الذي رأيته من الشيخ، وكان إذا دخل في الصلاة سكن واطمأن فلا حركة ولا التفات، وإنما إقبال وقراءة وخشوع وطمأنينة، تذكرك حاله ومنظره بمن تقرأ عنهم من السلف الصالح، وهذا والذي نفسي بيده أقوله من غير مبالغة.

فلما وصلنا إلى المنطقة خيّرنا مضيفنا بين السكنى عنده أو في الفندق، فلما رأيت بيته ضيقاً أشرت على الشيخ أن نسكن الفندق لنوسع على أخينا ولا نضيق على أنفسنا، فأشار الشيخ أن نستخير الله أولاً، فصلينا الاستخارة واخترنا الفندق، وكان الخير في ذلك.

ولم يكن أمر الطعام أو المنام مما يشغل بال الشيخ، فهو مشغول البال دائماً بطاعة ربه، ما بين صلاة وتلاوة ونصح وتذكيرٍ بمعروف وإرشاد ضال وتعليم علم وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر،

وهذا النمط من الحياة ما رأيته من أحد صحبته قبل الشيخ ولا من أحد بعده، على كثرة من خالطتهم وتنوعهم.

كما رأيت في الشيخ خصلة قلَّ أن تراها في الناس وهي تركه لما لا يعنيه، فلا يسأل ولا يتحدث إلّا عما يعنيه، وهذا من حسن إسلام المرء.

وعندما بدأت الدورة ـ وكانت في إحدى الجامعات التايلندية ـ كان الشيخ يُقدّم حصته ثم يذهب إلى مصلّاه حتى ينتهي الوقت، وكنت إذا انتهيت جلست مع الإخوة نتجاذب أطراف الحديث ونسأل عن البلاد وعادات أهلها ونخوض فيما يخوض فيه الناس، وإذا جاء الشيخ وجلس ولم يكن يخوض فيما نخوض فيه إلا أن يكون أمراً نافعاً وشيئاً من الحق فيدلي بدلوه بكلماتٍ معدودات لو شاء المحصي أن يحصيها لأحصاها.

وما رأيته ضاحكاً حتى يقهقه، إنما هو التبسم والكلام الرصين والصوت الخفيض.

وكان إذا سمع منكراً من القول بادر إلى النصيحة، ولو كان المتكلّم ذا مكانة في قومه، لكنه يجلّلها باللطف والرفق والخصوصية، ثم لا يتحدث عن ذلك ولا يذكره في خاصة ولا عامة إلّا عند الحاجة.

وكان الشيخ يتحرى الصدق في كلماته ونقولاته، ويدقق في

ذلك، ولا يبالغ في توصيف أمر أو الإخبار عنه، ويأنف من الكذب ولو على سبيل المزاح.

قلت مرة ونحن نأكل سمكة وقد أتينا على ما في ظهرها من اللحم: هذه السمكة تقول: اقلبوني!

فقال لي كالمعاتب: وهل قالت ذلك؟

فعرفت ما يريد.

ووجدنا أحد الشباب العرب ممن ذهب للدعوة هناك فمرض، فذهبنا لعيادته، فأخبَرنا بعضُ من لقيناهم أن ممرضة تأتي إليه لتمريضه وتحمله أحياناً في سيارتها للمستشفى، وأنهم لا يحبون أن يفيض على الألسنة أو يرى الناس أحداً من الدعاة يتهاون في العلاقة مع امرأة أجنبية ولو كانت بريئة، وكانوا يستحيون من مفاتحته نظراً لحساسية الأمر، فما شعرت إلّا والشيخ ينفرد به ويكلّمه برفقه المعهود، وينهي المقالة في هذا الأمر بكل يسر.

وكنت إذا ذكّرت الشيخ بأمر من الخير بادر إلى العمل به وشكرني على تذكيره.

ولم أرَ الشيخ يفزع إلى شيء كما يفزع إلى الصلاة المفروضة: يتهيأ لها قبل دخول الوقت، ويبادر إلى الصف الأول، فإما كان مصلياً فهو يتلو كتاب الله، أو يذكر الله في جلسة وقورة حتى تُقام الصلاة، وكان سواكه في جيبه لا يفارقه لا في سفرٍ ولا حضر...

جمع الله للشيخ العلم والعبادة والدعوة والتعليم والاحتساب مع الزهد والورع، وقلّما يجتمعن في رجل، وقد رأيت كثيرين من أهل العلم ليسوا أهل عبادة، ومن كان منهم متعبداً فيندر أن تجده محتسباً آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر.

كان الشيخ يقضي كثيراً من وقته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا يسمع بمنكرٍ إلا شارك في النهي عنه والاحتساب على أهله برفق تام وبعد عن الضجيج والتأجيج، وإذا ذُكر له منكر توثّق من الخبر وشدد في ذلك، لأن كثيراً مما ينقله الناس من أخبار المنكرات تنقصها الدقة والتثبت، وكان الشيخ لا يفرّق في إنكار المنكر بين الصغير والكبير، والمسؤول وغيره.

وبالجملة، فما رأت عيني مثله في زهده واحتسابه وعبادته وتركه مالا يعنيه واهتمامه لأمر المسلمين». اهـ

وبالجملة، فسيرته في الصلاة تُذكّر بقول الله تعالى ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾، قال المفسرون: أي إذا تفرغت من أشغالك ولم يبق في قلبك ما يعوقه فاجتهد في العبادة والدعاء، ولا تكن ممن إذا فرغوا لعبوا وأعرضوا عن ربهم وعن ذكره[١].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٤/٤٩٩)، تفسير السعدي ص٩٢٩.

وكذلك كان رحمه الله، فكان من عادته إذا فرغ من أشغاله أو كان في حال انتظار أن يعمر وقته بالصلاة، رحمة الله عليه.

❖ **ومن تعظيمه للصلاة:**

قال أحد أصحابه: كنا في اجتماع في استراحة قريبة من البلد، وكان قريبا منها مسجد، وكان الشيخ فهد هو المتحدث في ذلك المجلس، وكان يتحدث في أمر مهم استرعى انتباه الحضور، فأذّن المغرب، فأمسك الشيخ عن الحديث حين سمع الأذان، فقال أكثر الحضور: أكمِل حديثك يا شيخ! وقال بعضهم: نصلي المغرب هنا. فما ردّ الشيخ عليهم بشيء، ولكنه نهض فورا فلبس نعليه، ثم انطلق مباشرة إلى المسجد.

فكان فعله ذلك درسا بليغا في تعظيم الصلاة وتقديمها!

أما الجمعة فكان يبكّر إليها جدا، فكان يصلي الفجر في مسجده، ثم يجلس في مصلاه إلى طلوع الشمس، ثم يخرج إلى بيته فيتغدّى[(١)]، ثم يغتسل، ثم يخرج إلى الجامع ماشيا، ويظل يصلي عامة الوقت إلى دخول الخطيب.

ومن حرصه على التبكير إلى الجمعة: أنه في أعراس أولاده

(١) الغداء: هو طعام أول النهار، وهو المتعارف الآن على تسميته: الفطور.

لا يجعل وليمة الزواج في ليلة جمعة؛ كي لا يسهر تلك الليلة فيفوته التبكير إلى الجمعة.

وكان مرة معتكفا، فدخلت عليه في غرفته وهو يصلي، فأردت أن أصلي معه، فصففت معه، فقرأ قراءة طويلة، حتى قرب وقت السحور، فقال: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ [الكهف: ٦٢]، فانفصلت عنه وأتممت صلاتي خفيفة وخرجت لإحضار السحور.

وكان لا يترك الجلوس في المسجد بعد صلاة الفجر بحال، وكم مرةٍ قدمنا من سفر في آخر الليل فكنا ننتظر صلاة الفجر لنُصلّي ثم ننام، وأما هو فيصلي الفجر، ثم لا يترك عادته في الجلوس إلى طلوع الشمس، وكان كثيرا ما يُغالب النوم في تلك الساعة، فيمشي في المسجد وهو يذكر اللّه ويقرأ وِرْده.

❖ ومن تعظيمه لمواسم العبادة:

كان يوصي ابنه قبل رمضان فيقول: لا تشغل أمك وأخواتك بعزيمة أصحابك على الفطور.

وكان يشتري زكاة الفطر قبل دخول رمضان؛ لكيلا يحتاج إلى الذهاب إلى السوق في رمضان.

ويوصي بناته بالاستعداد للعيد قبل رمضان.

ومن حبِّه لذكر اللّه تعالى وملازمته:

لما بنى بيته بنى فيه مُغتسلا ليس فيه مرحاض، قال: لأذكر الله وأنا أغتسل.

وكان كثير الصيام، فلم يكن يترك صوم الاثنين والخميس وأيام البيض وأكثر شهر محرم وشعبان، وفي السنوات العشر الأخيرة من عمره أصبح يُكثر الصوم في فصل الشتاء، ثم ختم آخر ثلاث سنوات من عمره بصوم يوم وفطر يوم، فكان في آخر عمره أكثر جِدّا واجتهادا في العبادة.

وكان ظاهرا من حاله الافتقار إلى الله تعالى والتعلّق به والتوكّل عليه، فإذا همّ بعمل من أعمال الدعوة والإصلاح قدّم بين يدي ذلك الصلاة والاستخارة والدعاء بأن يتقبل الله العمل ويبارك فيه، وإذا تردد في شيء من أمور دينه أو دنياه لهج فورا بطلب الهداية من الله، فيقول: اللهم اهدنا وسددنا! اللهم اهدنا وسددنا! وإن كان في الوقت مهلة استخار، فكان كثير الاستخارة ويوصينا بها كثيرا.

وأما في الحج فكان دائم الصلاة والذكر، مُعرضا على اللغو والفضول.

حدثني أحد أصحابه قال:

حججت معه عام ١٤٠٢ تقريبا في رحلة طلابيّة، وكان أحدَ

المشرفين على الرحلة، وكان مع إشرافه لا يكاد يفارق مصلى المخيم، ولا يشتغل بغير الصلاة والذكر. اهـ

وهو رَحِمَهُ ٱللَّهُ مع نشاطه في العبادة يُراعي نشاط نفسه، فلا يحمل عليها ما يشق عليها، وكان يوصي غيره أيضا بالرفق في العبادة، ومراعاة حال النفس وإقبالها وإدبارها.

ومما أتذكر في هذا:

أن بعض الحجاج في يوم عرفة يشرعون في الاجتهاد والدعاء والذكر من أول النهار، فكان الوالد لا يستحسن هذا، ويقول: إن السنة الاجتهاد بعد الزوال، وإن الحاج إذا أخذ في الدعاء من أول النهار فتر في آخره، فكان يستريح أول النهار، فإذا كان بعد الزوال وصلى الظهر والعصر وتناول الغداء أقبل بعد ذلك على الدعاء إلى وقت الغروب.

❖ ومن نصائحه لأهله وأولاده:

كان يوصي كثيرا بالأدعية بطرق متنوعة، فأحيانا يُلقي علينا دعاء في الجلسة العائلية ويعيده علينا ويطلب من كل منا إعادته حتى نحفظه.

وكثيرا ما يوصي بقول (اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك).

وكان كتيب (الدعاء من الكتاب والسنة) للشيخ سعيد بن

وهف رَحِمَهُ ٱللَّهُ من الكتب التي لا يخلو منها، ولا سيما في العشر الأواخر من رمضان، وفي رحلة الحج والعمرة.

❖ **ومن آدابه** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

حفظه لبقايا الطعام، فلا يُلقى شيء صالح للأكل، حتى كان يأكل ما يتركه الأطفال في أطباقهم، وإن كان صالحا للإطعام جمعه في طبق ودفعه إلى عمال النظافة أو غيرهم، ويقول ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧].

وأحسبه ـ والله حسيبه ـ لا يحقر من العمل الصالح شيئا.

من الطريف أننا ربما كنا جلوسا على العشاء، فيقول أحد الأطفال:

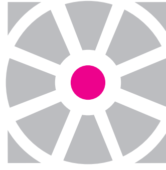
من يحضر لي ماءً الله يجزيه الجنة؟

فينهض هو فيأتيه بالماء؛ اغتناما لدعوته.

ويقول أحد أصحابه الملازمين:

في أوائل معرفتي بالشيخ، عام ١٤٢٢ رأيتُني في المنام في غرفة من غرف المسجد، في بضعة عشر رجلا، ونحن جلوس في حلقة علم ننتظر الإمام أحمد بن حنبل، إذ دخل علينا الشيخ فهد القاضي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبتسما مُسلِّما، فجلس ثم تحدّث.





الزهد والورع

أما زهده رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقد كان زاهدا في الدنيا، يأخذ منها حاجته، ويتصدق بالفضل، وكان عزيز النفس.

لما بنى بيته بناه بناء خاليا من الزخارف والزينة، فأنوار البيت (نجفات) ليس فيها (ثُريا)، والمجلس جلسة أرضية ليس فيه (كنب)، والبيت مفروش بالفرش العادي (موكيت) ليس عليه (زلّ)، وليس في البيت ستائر.

ثم لما كبرنا وأصبح لنا استقلال مالي زدنا في البيت زيادات في تحسينه وأثاثه، فلم يمنعنا من ذلك، فكان لا يشدد على أولاده في الزهد الذي يحمل نفسه عليه.

لم نسمعه يوماً يتحدث فيما يتحدث فيه الناس من البيع والشراء والصفقات والمساهمات والأسعار والعقار والاستثمار، ولم أره يوماً أو أعلم أنه طلب من أحد صغير أو كبير منفعة دنيوية، من وظيفة أو عقار أو أرض أو شهادة رسمية علمية مما يطلبه كثير من الناس.

يقول أحد أصدقائه:

كان لا يدع فرصة في مجلسه للحديث عن أمور الدنيا، أعرفه منذ ثلاث وأربعين سنة لم أسمعه مرة يتحدث في أمر من أمور الدنيا.

ولما كان يبني بيته كان مستأجرا بيتا في الحي، وكان إذا مشى إلى المسجد يمر ببيته الذي يُبنى، فحدثني غير واحد من جيرانه: أنه كان يمر ببيته ذاهبا إلى المسجد وراجعا منه، قالوا: فما رأيناه يرفع رأسه لينظر إلى البيت.

وكان قد وكّل مقاولا يشرف على البناء، وكان ذلك المقاول أمينا ناصحا، جزاه اللّه خير الجزاء.

ولما تقاعد تقاعدا مبكرا في عام ١٤١٩هـ ليتفرغ للاحتساب والدعوة إلى اللّه، وإلى أن مات رَحِمَهُ اللَّهُ لم يكن له دخل إلا من راتبه التقاعدي، فلم يسع في تحصيل وظيفة أو منصب، ولو أراد ذلك لناله بيُسر.

يقول أحد أصدقائه:

عرضت عليه مرةً المشاركة في مساهمة ممتازة، فشكرني واعتذر، فقلت له:

أنا أُقرضك رأس المال، وتردّ لي رأس المال ولك الربح.

فأبى، فراجعته وألححت عليه، فلم يُجبني إلى ذلك.

فكان يأخذ من المال القوت، ولا يطلب الفضل من الدنيا، وأُسوته في ذلك النبي ﷺ، الذي جاءته الدنيا فأعرض عنها، وقدّمها زادا للآخرة.

فكان ﷺ يقول: «ما لي وللدنيا؟! إنما مثلي ومثل الدنيا كراكب قال في ظل شجرة ثم راح وتركها»(١).

وأوصى عبد الله بن عمر: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا»(٣). والقوت: ما يسدّ الحاجة ولا يزيد عليها(٤).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «قد أفلح من أسلم، ورُزِق كفافا، وقنّعه الله بما آتاه»(٥).



(١) رواه الترمذي، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، برقم (٢٣٧٧).
(٢) رواه البخاري، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، برقم (٦٤١٦).
(٣) رواه البخاري، برقم (٦٤٦٠)، ومسلم، برقم (١٠٥٥).
(٤) انظر: شرح مسلم للنووي (١٤٦/٧، ١٠٥/١٨).
(٥) رواه مسلم، برقم (١٠٥٤).

وأما الورع فكان كثير المحاسبة لنفسه، دقيق الورع، وهذه بعض أخباره:

- تقول إحدى أخواتي:

وعَدَنا ليلةً أن يذهب بنا إلى مناسبة اجتماعية، فأبطأ علينا قليلا، فلما جاء وركبنا معه وسِرنا، كان معنا حافظة شاي (ترمس)، فلما كنّا في الطريق قال لنا:

تجدون رائحة شاي؟

ثم وقف وتفقد حافظة الشاي فإذا هي انكسرت وانسكب منها الشاي في السيارة!

فاسترجع، وأخذ في الاستغفار، وركب وقد بدا عليه الحزن.

فلما كان من الغد قال لنا: سيزورني ضيف، فأكرموه.

فلما خرج الضيف أخبرنا بخبره فقال:

هذا الضيف عامل من العمال، استوقفني البارحة يسألني عن عمل (يبحث عن مهنة)، فكنت مستعجلا كي لا أتأخر عن موعدي معكم، فلم أُقبِل عليه كما ينبغي، فلعلي كسرت خاطره، فكُسِر ترمسي!

- قال لي أحد أصدقائه:

كنا إذا جلسنا معه للبحث في شؤون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإذا فرغنا من الشأن الذي جلسنا من أجله كنا نحب

أن نجلس بعد ذلك لنتحدث ونتباسط، وكان الشيخ فهد يُحب أن ننصرف ولا نجلس، ويحكي قول الزهري رَحِمَهُ اللهُ:

إذا طال المجلس كان للشيطان فيه نصيب[(١)].

ـ أما عفّة اللسان، واحترازه من الغيبة فيعرفه كل من جالسه، فلا يذكر أحدا بسوء، ولا يدع أحدا في المجلس يغتاب أحدا، ويُرشد دائما من يذكر غيره بسوء إلى أن يواجهه بالنصح، وإذا أحسّ باتجاه الحديث نحو الغيبة أخذ يسبح ويهلل، فينتبه المتحدث ويمسك.

ـ وكان ـ كما هو معروف عنه ـ مهتمّا بالإصلاح ومعالجة المنكرات، وكان هذا الموضوع هو شغله الشاغل في أكثر مجالسه، ومع هذا كان عفيف اللسان، شديد الورع عن الغيبة، بل عما يخشى أن يتدرج إلى الغيبة.

يقول أحد جلسائه: لم يكن من عادته إذا أراد الحديث عن منكر من المنكرات أن يذكر صاحب المنكر باسمه الشخصي، وإنما يذكره بلقبه الوظيفي، وذلك تجنّبا للغيبة ما أمكن.

ـ ويقول أحد أصدقائه:

لي زوجتان، فأهداني مرةً قارورتَي طيب وقال: هذا لأم فلان وأم فلان، يعني زوجتَيّ.

(١) حلية الأولياء (٣/٣٦٦).

فلما انصرفت دعاني وقال:

هذا لأم فلان وهذا لأم فلان!

يريد بذلك أن يرفع عني الحرج في قسمة الطيب بين زوجتَيّ؛ لأن القارورتين كانتا مختلفتَي النوع والقيمة.

- ويقول أحد زملائه في التدريس:

قابلت الشيخ رحمه الله يوم عودة المعلمين بعد الإجازة، فرأيت معه رزمة أوراق بيضاء، فسألته عنها، فقال: كنت أيام الاختبارات الشهرية أستخدم أوراقا من المدرسة فهذه عوض عنها.

فقلت: أنت استخدمتها لمصلحة الطلاب!

فقال: تبرئةً للذمة.

- زارته ابنته في بيته، وكان مع ابنتها دُمية لعل فيها تصويرا شبيها بالصورة الحقيقية، وكان رحمه الله نائما، فانتبه من نومه وقال: أين العروسة (الدمية)؟

فانتبه أولاده إلى تلك الدمية وأخرجوها من البيت.

وكان لا يترك في البيت شيئًا من الصور المحرمة.

- وكان إذا ركب مع أحد في السيارة، أو كان في حال لا يحتاج فيها إلى نظر دقيق وضع نظارته في جيبه، ليحفظ بصره عن فضول النظر.

وأشارت عليه ابنته أن يعمل عملية تصحيح للنظر ليستغني

عن النظارة، فقال: في النظارة فائدة، وهي أني إذا كنت في سوق أو مطار ولا أحتاج إلى النظر وضعتها.

- كان - رحمة الله عليه - يتحرى الأقرب إلى رضا الله تعالى حتى في دقائق الأمور، ويتثبّت في أقواله ويستهدي الله فيها ولو كانت في أمور صغيرة.

رجع يوماً من المسجد بعد طلوع الشمس، فوجد في (الحوش) بومة! وكان أولاده مستيقظين، وكان يُحب أن يُبهج أولاده، فناداهم ليروا البومة، فجاؤوا ورأوها وتعجبوا منها.

ثم سألوه أن يضعها في قفص لتبقى عندهم ينظرون إليها.

فوقف يُفكّر، وكانت عادته إذا تردد في أمر أن يستغفر الله ويقول: يا حي يا قيوم! يا ذا الجلال والإكرام! اللهم اهدني وسددني.

ثم قال: سأصلي. وكان لم يركع نافلة الضحى.

تقول ابنته:

فتوضأ، وصلى، فصلّى صلاة تزيد على نصف الساعة، حتى ظننا أنه لن يرجع إلينا.

ثم جاءنا وهو يضحك، ويقرأ قول الله تعالى ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [الأنفال: ٢٨ ـ التغابن: ١٥].

ففهمنا أنه لا يحب أن يحبس البومة، لكنه سيحبسها من

أجلنا، فجاء بالقفص وأدخل فيه البومة، ووضعنا لها ماء، وشكرناه، ثم ذهب لينام.

فلما لعبنا قليلا رأينا أننا أحرجناه بحبس الطائر وهو كاره لذلك، فأطلقنا البومة، وكتبنا لأبي ورقة نشكره فيها، ونُخبره بإطلاق البومة.

- كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ شديد التوقّي من حقوق الناس ومظالمهم.

يذكر من كان يُدرِّس معه في المدرسة قبل تقاعده أنه كان شديد الانضباط في الحضور والانصراف، وفي حضوره للفصل الذي لديه درس فيه، ونادر جدا أن يستأذن للخروج من المدرسة وقت العمل فضلاً عن أن يغيب أو يتأخر عن جدوله الدراسي، وكان يعظ زملاءه بحفظ وقت العمل من الإضاعة أو الاستئذان لغير عذر، ويُذكّرهم بأن الحق في هذا الوقت للطلاب.

- وقال لي غير مرة:

لما كنتُ في التدريس كنت أجتهد في أداء حقوق طلابي وتعليمهم، ولكني أعلم أنه لا بد أن يقع مني تقصير، فكنت أحرص على جبر ذلك بالدعاء لهم.

- وتحدثت إليه مرة عن عملي (وأنا معلم) وجدولي في التدريس، وقلت له:

إني أُفضل تدريس موادّ الفقه؛ لأنها أكثر فائدة لي.

فقال: إذا كنت في مقام العمل فلا تنظر إلى مصلحتك، ولكن انظر إلى مصلحة طلابك.

ـ وكان يُذكِّرني العدلَ بين الطلاب، ويذكر قول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القاضي: اسم لكل من قضى بين اثنين وحكم بينهما... حتى الذي يحكم بين الصبيان في الخطوط إذا تخايروا»[١].

ـ وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ ربما غضب عليّ وأنا صغير، وذلك قليل جدا، فكان إذا فاء من غضبه جعل يدعو لي، ويقول لي: يا بُنيّ! إني إذا قسوت عليك فأنا أعتذر من ذلك، وإنني أدعو لك بعد ذلك.

ـ ومن ورعه الدقيق: تجنّبه سماع خبر منكر لا يقدر على إنكاره.

فكان يكره تتبع أخبار المنكرات والتفتيش عنها؛ خشية تعلّق ذمته بها وتقصيره في إنكارها.

حدثني صاحب له، قال:

سافرنا مرة، وكان معنا مدير مركز من مراكز هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فجاءت مديرَ الهيئة رسالةٌ طويلة في

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/٢٥٤).

الجوال، فيها بلاغ عن منكر، فأراد أن يقرأ الرسالة علينا، فقال الشيخ فهد:

إن كان شيئا نقدر أن نغيّره فاقرأ علينا الرسالة، وإلا فلا.

فقال أحد الركْب ـ وكان يُدِلّ (يمون) على الشيخ فهد ـ:

بل اقرأها علينا، وأنت يا فهد سُدّ أذنك!

قال: فما كان من الشيخ فهد إلا أن سدّ أُذنه حتى فرغ الرجل من قراءة الرسالة!





البر والإحسان

كان رحمه الله قدوة في البر والصلة وحسن المعاملة للقريب والبعيد.

كان عظيم البِرّ بوالديه، مما أتذكر: أنه كان يحج بوالدته كل عام، وذلك إلى ما قبل وفاتها بسنتين وقد قاربت التسعين، ويعتمر بها في كل رمضان، وفي كل عطلة صيفية، وكان في حجّه يتفرغ لخدمتها.

وبعد وفاته وجدت في أوراقه ورقة بخطه مكتوبا فيها:

(في ١٣٩٤/١٠/٤ ودّعها إلى المدينة ضاحكا، وودعته باكية)!

يُذكِّر نفسه بسفره للدراسة في الجامعة الإسلامية في المدينة، وكيف فارق أمه؛ ليكون تذكّره لذلك دافعا له إلى مزيد من البر بها، رحمهما الله...

وكان إذا جلس عندها في بيتها جلس جِلسة خضوع وتوقير، ويزورها في بيتها كل يوم، وفي مرضها كان يأتيها في اليوم

مرتين، مع استغنائها عن الخدمة بوجودها في بيت أحد أبنائها أو بناتها البررة.

ومن برّه بأمه: أنه كان يجمع الأخبار والقصص التي تحبها فيقصها عليها، حتى كان يشتري كتب القصص الشعبية والأشرطة الصوتية للرواة الشعبيين ليسمع منهم أخبار الماضين وقصص الأجداد ليقصها على أمه رحمها اللّه.

وكان يوصي بناته بعد زواجهن بأن يعِنّ أزواجهن على برهم بأمهاتهم، وألا تشعر أمهاتهم بعد زواجهم بانصرافهم عنهن، ويوصي أيضا أزواج بناته بذلك.

وأما في بيته مع أولاده، فكان لطيفا رفيقا.

كتبت إحدى أخواتي تقول:

«عرفتم فهد القاضي كرجل عابد وزاهد ومحتسب، دعوني أعرفكم عليه كأب.

كان أبي لطيفاً رحيماً ودوداً.

حينما كنا صغارا أنا وبنات أختي، نفخنا عدداً كبيراً من البالونات، ولعبنا بها في الحوش، لكن البالونات طارت واختفت عن أنظارنا، وفي هذه اللحظة دخل أبي المنزل، فرآنا مضطربات بشأن بالوناتنا، وفورا أخذنا بسيارته نبحث عنها.. تجوّل في الأحياء يبحث معنا باهتمام وما عاد إلا بطلب منا!

يا أبي كيف تطامنت من همومك وأعمالك الكبيرة، لهمومنا الصغيرة جداً؟!

نشحّ بجهدنا وبوقتنا، وليس عندنا سعي لشيء من مساعيك، أما أنت...

فتجود علينا غاية الجود، وأنت أحق بذلك منّا!

يا لَلأب الحبيب...

كان منذ أن عرفت نفسي يستمع إلي وكأنه لا أحد في الدنيا غيري، وكأنه ليس له هم سواي...

كان يشاركني كل تفاصيل حياتي، أسماء صديقاتي، دروس الجامعة التي أحضرها... ويشاركني خططي، ويعرف نظامي اليومي، حتى أفكاري الجديدة وخططي المستقبلية يعرفها ويسألني عنها ويفيدني فيها.

ويعرف كل ما استجد لي...

وحتى أني حينما أغيب عنه في المدرسة أو الجامعة، يسألني «ما فطورك؟»...

كان يفرح لفرحي، ويحزن لحزني، ويهتم لهمّي صغيرهِ وكبيرهِ، ويعينني عليه بالنصح والدعاء..

أبي اللطيف...

كان في خزانته، ومن بين ملابسه التي كانت على قدر

حاجته، وبين الدفاتر زهيدة الثمن المحبّرة بتدوينات أبي من مجالسه مع أشياخه، وأشرطته التي يحتفظ بها، كان هنالك درجٌ يحتفظ أبي فيه بكل رسائلنا ورسوماتنا التي أهديناها له، كان أبي ينفض عنها الغبار ويذكّرنا بها.

وعلى عكس ما يتصور الأطفال عنا عندما كنا صغارا، حينما يستوحشون عند معرفتهم أنه ليس عندنا تليفزيون ولا فيديو! فقد كانت أيامنا سعيدة مع أبي، فكثيراً ما كنا نشتري معه الحيوانات الصغيرة، نعتني بها ونلعب معها نحن وإياه، وكنا أيضا نشتري النباتات، نزرعها معاً، ونسقيها معاً، وإن كان لها محصول يأكل منه إسعاداً وتشجيعاً لنا...

وجلساته اليومية معنا، وما أجملها من جلسات، وكذا رحلاته معنا، لا تخلو من قراءة لكتاب نافع، يُشرِك فيه الجميع بالتعليق والسؤال..

أو قصة عذبة ماتعة، أو تَذاكر نِعم اللّه.

وإذا كنا في طريق رحلة معه، ربما أشاهد ورقة بجانب مِقوده، دوّن فيها رؤوس فقرات جميلة قد أعدها للطريق...

وكثيراً ما كان يعود بفراشة كبيرة ملونة، أو عصفور صغير، وجده في فناء المسجد، أو قرب البيت!

كنت القدوة يا أبي في كل شيء.

عندما تأكل طعامك، كنت تحمد الله عند كل لقمة تأكلها تقريباً، وربما حمدت الله ثلاث مرات بين اللقمة والأخرى...

وغضُّك لبصرك يا أبي عندما تكون ماشياً أو عائداً من المسجد، حينما لا تجاوز عينك قدميك...».

وكان رحيما بالصغار، يحتملهم ويرفق بهم. كان ابن بنته صغيرا، وكان يحب أن يكون مع أبي، فكان ربما حمله على كتفه ومشى به وهو يقرأ القرآن، وربما صعد لينام فيتبعه الصغير، فتأتي أمه لتأخذه، فيقول لها: دعيه، فينام معه.

ويقول أحد أصدقائه:

كان لنا لقاء راتب بعد العِشاء، فاقترح أحدنا أن نُحضِر العشاء من بيوتنا؛ تجنبا للإسراف في شراء العشاء من المطعم.

فقال الشيخ فهد:

«خيركم خيركم لأهله».

يريد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن مراعاة الأهل أولى.

وأما أقاربه، فكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ وصولا لرحمه، مع كثرة أشغاله، حتى في أيامه الأخيرة كان يتصل بهم، ويتعاهدهم، ويسأل عن أخبارهم، فيُهنئ بالأفراح، ويواسي في المصائب.

وكان مُكرما لإخوانه وأخواته، ولا سيما الذين هم أسنّ منه، وخصوصا أخاه الأكبر عمي صالح، كان يعامله معاملة الأب، بل كان

واصلا لأبناء وبنات إخوانه وأخواته يتصل بهم شخصيا، أو يرسل إليهم الرسائل والهدايا الخاصة، وربما يسبقنا إلى معرفة أخبارهم.

وكان له خالتان لأبيه، فكان يزورهما في القصيم، وله خالة في الدمام، يذهب لزيارتها وزيارة أبنائها ثم يرجع، وبعد وفاتها يسافر لزيارة أولادها ثم يرجع من فوره.

وكان حُسن الخلق، والمواساة، والحلم، والقيام بحاجة المحتاج ـ كان ذلك خلقَه مع القريب والبعيد، ولا أريد الإطالة في حكاية قصصه، وإنما أقتصر على بعض المواقف التي حكاها لي بعض أصحابه:

ـ يقول أحدهم: كنت إمام مسجد، فصلى معي الشيخ فهد صلاة الظهر، وكان يريدني في أمر، فأطلت الصلاة بعض الإطالة، فلما لقيته بعد الصلاة قال لي: كأنك أطلت الصلاة، والإمام مأمور بالتخفيف، ومسجدك على شارع عامّ.

فأجبته بأن السنة وردت بالإطالة في صلاة الظهر، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: حزرنا قيام النبي صلى الله عليه وسلم في الركعتين الأوليين من الظهر قدر قراءة ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ﴾ [السجدة: ١ ـ ٢].

فلما ذكرت ذلك سكت الشيخ فهد، ولم يرد علي بكلمة، ثم تحدث في الأمر الذي جاء من أجله.

كان هذا قبل خمس وعشرين سنة، ولم أنس ذلك الموقف،

فقد علمني أدبا في الحوار: أنني إذا ذكرت حجتي وذكر المخالف حجته فقد تمّ الحوار، ولا فائدة بعد ذلك في تكرار الكلام.

ـ ويقول آخر: صليت مرة في مسجد كبير في شمال الرياض صلاة العصر، فلما فرغ الإمام من الصلاة قام الشيخ فهد وتقدم نحو الإمام يريد الإذن له بالتحديث للناس بموعظة وتذكير، فوقف أمام الإمام ساكتاً مبتسماً، والإمام لا يعرفه، ويظهر أن الإمام ظنه سائلاً، فكاد أن يشير له أن يقف عند الباب، لكن تدارك بعض الإخوة ممن يعرفون الشيخ وطلبوا منه أن يُدنِي المكبر للشيخ لكي يتحدث ففعل والحمد للّٰه.

ـ ويقول أحد فتيان الحي: كنت أحضر صلاة الفجر وأنا صغير، فصليت مرة بجانب الشيخ فهد، فنمت بعد الصلاة مستندا إلى الشيخ فهد، يقول: فتركني الشيخ فهد نائما، وما أيقظني ولا حركني، حتى انتبهت وقمت.

ـ ويقول أحد تلاميذه: حضر أحد الإخوة إلى مكتب الشيخ، وأوقف سيارته غير أنه لم يترجل منها مشتغلاً بشيء لديه، وجاء الشيخ فرآه، فوقف على قدميه بجوار سيارته ينتظر أن يفرغ الأخ وينزل، حتى مضى أكثر من خمس دقائق وهو على هذا الحال ولم ينبّه الأخ، بل انتظر حتى نزل ذلك الأخ ففوجئ بوقوف الشيخ، فأخذ في الاعتذار والشيخ يبتسم.

ـ ويقول آخر: رأيته كثيراً في بعض الطرق السريعة أو الشوارع المزدحمة يسير بسيارته بسكينة ووقار وهدوء، لا يُسرع ولو كان متأخراً أو مستعجلاً، لا يشاكس أحداً ولا يتشاجر مع أحد، وإن ابتلي ببعض السفهاء في تلك الطرق أعرض عنه ومضى في سبيله.

ـ ويقول: ذات يوم كنت على موعد معه على طريق سريع خارج الرياض، فلما وافيته وجدته واقفاً مع سائق شاحنة صغيرة من باكستان، فبادرني الشيخ قائلاً: هذا الأخ اعتدى أشخاصٌ على سيارته فكسروا زجاجها؛ فلنقف نواسيه. وتمثّل بقول بشار بن برد:

ولا بدّ من شكوى إلى ذي مروءة   يواسيك أو يُسَلِيك أو يتوجع

ـ ويقول أحد جيرانه: كنت جارا للشيخ فهد رحمه الله، وكان يتلقّى زكاة الفطر من الجيران ويوصلها إلى الفقراء، فجئت إلى بيته ليلة عيد الفطر فطرقت بابه وسألت عنه فلم أجده في البيت، فسألت أولاده أين هو؟ فقالوا: في المسجد.

فذهبت إلى الغرفة التي يعتكف فيها في العشر الأواخر ومعي أكياس الأرز (زكاة الفطر)، فطرقت عليه الباب فلم يُجِب، فطرقت مرة أُخرى ولم يجب، وكنت أعلم أنه في الغرفة، فظللت أطرق الباب شديدا.

ثم فتح الشيخ الباب، فنظرت إليه فرأيت في وجهه أثر السجود، فعلمت أنه كان يصلي، فسلمت عليه فرد السلام، فلا واللّه

ما لامني ولا عبس في وجهي ولا قال لي: أما تعرف أدب الاستئذان؟! وإنما أخذ مني ما معي وانصرفت، فمضيت وأنا لا أدري مم أعجب: من جُرْأتي أم من حِلم الشيخ فهد؟! رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

- وأخبرني أحدهم قائلا: عرفت الشيخ فهدا قبل زواجي بأشهر، فلما اقترب زواجي دعوته، وكنت أظنه سيعتذر لكثرة أشغاله، لكنه حضر، فسُررت بحضوره كثيرا، فلما أردت الخروج من قاعة العرس مشى معي، وأوصاني بما جاءت به سنّة النبي ﷺ من آداب الدخول على الأهل.

ولما عُيِّنت معلما في شمال المملكة كان يتعاهدني بالاتصال، يبدؤني بالسلام والسؤال عن أحوالي.

ثم كنت أتصل به أسأله وأستشيره، فكان يرد عليّ فورا.

وكنت أبشره بكل ولد أُرْزَقُه فيُسَرّ ويستبشر، وأوصاني بأن أعوّذ أولادي بما جاء عن النبي ﷺ: أُعيذك بكلمات اللّه التامة، من كل شيطان وهامّة، ومن كل عين لامّة[(١)].

يقول: ولا أزال أُعوّذ أولادي بهذا إلى اليوم.

وكان عندي نسخة مكررة من فتاوى الشيخ ابن باز، فتفكرت:

---

(١) رواه البخاري، عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، برقم (٣٣٧١).

لمن أهدى النسخة الثانية، فأول من خطر في بالي الشيخ فهد، فأتيت منزله فلم أجده، فدفعت الكتاب إلى أولاده، وانطلقت.

فاتصل بي بعد ساعة يشكرني ويدعو لي.

وبعد سنتين اتصل بي وقال: معي هدية لك، وسيأتيك بها أحد الإخوة، وبعث بالهدية إليّ، وكأنه أراد مكافأتي على هديتي تلك.

❖ ومن أخلاقه رحمه الله:

حب الخير للمسلمين عموما، والدعاء الدائم لهم بالصلاح في دينهم ودنياهم.

كنا مرة في رحلة معه لمكان قريب من الرياض، وبالقرب من مكاننا قاعات أفراح، فكان كلما سمع أبواق السيارات (وفد الزوج) أخذ يدعو لهم بالتوفيق والبركة وأن يجمع اللّه بينهم على خير.

وإذا أخبرناه بزواج أو خطبة أحد ـ ولو بعيدا ـ أكثر من الدعاء له بالصلاح والتوفيق، وإذا سَمِعَنا ندعو بالخير للمسلمين عامة أو خاصة ظهر منه السرور، واجتهد في التأمين على دعائنا، ومرة أخبرناه بزواج امرأة من معارفنا، ليست قريبة له، فظلّ يدعو لها بالتوفيق، وعاتبَنا فقال: لِمَ لَمْ تخبروني حتى ندعو للمسلمين؟!

ـ وكان من أكبر دواعي سروره: أخبار صلاح المسلمين، وظهور السنة والتوحيد، واندفاع البلايا عن أهل الإسلام، القريب منهم والبعيد، وكان يخص الصالحين المصلحين باهتمام وعناية، بالدعاء لهم، والسعي في الشفاعة لهم، ويفرح فرحا كبيرا بصلاح أحوالهم واندفاع المكاره عنهم.

قال لي أحد أصدقائه:

كنت أسير معه مرة في شارع على أقدامنا، فاتصل به متصل بالجوال، وبشّره بانكشاف بليّة عن أحد الصالحين. فبشّرني الشيخ فهد بذلك، ثم سجد فورا (على الرصيف) بلا سجادة، سجد وأطال السجود، فأردت أن أقتدي به، فسجدت وحمدت الله تعالى بما تيسّر لي ثم رفعت رأسي، والشيخ فهد لا يزال في سجوده، وظل ساجدا سجودا طويلا.



❖ ومن أخلاقه الاجتماعية والتربوية:

إرهاف الحس، وإدراك مشاعر الناس، والشفافية في فهم دوافعهم ورغباتهم وميولهم على اختلاف طبقاتهم، ومعاملتهم على أساسها، ومعاملة الناس بما يحتملونه من مراتب التديّن، فلم يكن رَحِمَهُ ٱللَّهُ يحمل غيره على ما يحمل عليه نفسه من الزهد والورع والفضائل.

ـ يقول أحد جيراننا:

كان لي ابن في السنة الثانية الابتدائية، وكان يحافظ على صلاة القيام في رمضان، فلفت ذلك انتباه الشيخ فهد، فجاءني يوما بعد صلاة الفجر، وتحدّث إلي ثم قال:

أقترح ألا تُشدّد على ابنك في أمر النوافل وصلاة القيام، كي لا يكون عنده نفور بعد ذلك.

فقلت له: إني لم آمره قط بصلاة القيام، ولكنه يصلي برغبته والحمد الله.

فالرفق وبُعد النظر من سِمات طريقته التربوية، فقد يظن من يعرف من الوالد حرصه على العبادة والتربية أنه سيشجع هذا الأب على حضور ابنه صلاة القيام، لكن من يعرف بُعْد نظره التربوي، وإرهاف إحساسه يعلم أنه لا يستحسن مثل هذا، لما يخشى من عاقبته.

ـ وكان أيضا يقول:

أنا لا أستحسن إحضار الأطفال إلى المسجد قبل سن السابعة؛ لأن للطفل فورةً وإقبالا على المسجد، فإذا استُنفدت تلك الرغبة قبل السن المأمور به (سبع سنين) جاء سن السابعة وقد فترت رغبة الطفل وشوقه إلى الصلاة في المسجد.

ـ ولما تزوجْتُ وأردت السفر بزوجي للعمرة قال لي:

أنت عروس(١)، ولعل تقصير الشعر في حقّك أفضل من الحلق.

ـ وكنّا في البيت إذا أردنا أن نأخذ من أحد الأطفال شيئًا لا يصلح أن يأخذه الطفل (سكّين مثلا) يقول: أعط الطفل أوّلا شيئًا يلهو به، ثم خذ منه ما تريد.

ـ وكانت كلماته ودروسه ونصائحه خفيفة على السامع، لا يطيل فيها، وإذا أراد القراءة على المصلين بعد الصلاة من كتاب انتقى المواضع المناسبة منه، وإذا أراد إلقاء فائدة في محفل أو جمع لم يجتمع أصلا للفائدة أو الدرس ألقاه في صورة قصة، أو مسابقة، أو لغز، فيوصل الفائدة بطريقة محبّبة.



وعُرِف رَحِمَهُ اللَّهُ بالإحسان إلى الناس، بالمال والجاه والرأي وغير ذلك، فقصده أصحاب الحاجات وعرفوه.

لا أنسى منذ صغري أنه كان إذا اشترى (المقاضي) للبيت من

---

(١) العروس: وصف يستوي فيه الذكر والأنثى ما داما في إعراسهما. انظر: الصحاح (٩٤٧/٣)، النهاية في غريب الحديث (٢٠٦/٣).

السوق يعزل مما يشتري الثلث تقريبا يجعله صدقة، ثم يذهب صبيحة الجمعة إلى بيوت الفقراء في وسط الرياض فيفرّق ذلك عليهم.

وقال لي أحد أصدقائه:

ربما اتصل بي الشيخ فهد في أيام الأمطار فيقول: ألا تتوقع أن في بيوت الفقراء بيوتا تأثّرت بالأمطار، وأن لهم حاجات يعجزون عنها؟ فيواعدني ونخرج إلى بيوتهم في وسط الرياض ومعنا ما تيسر من المعونة والأرزاق فنفرقها بينهم.

وأذكر وأنا صغير أنه كان يشتري من سوق الربوة عُلب الحليب المجفف (البودرة) بالجملة، ثم يذهب بها إلى بقالة قريبة من جامع الفريان في وسط الرياض، وقد اتفق مع صاحب البقالة على أن يبيعها بسعر مخفض للفقراء، ويدفع الوالد الفرق، رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وذهب بي معه مرة في يوم عيد وأنا ابن عشر سنين تقريبا، فكان من العصر إلى ما بعد العشاء يتنقل بين بيوت الفقراء والأيتام والأرامل، يعطيهم الأطعمة والحلوى.

وكان كثير الصدقة، فكان يُنفق على نفسه وعياله، ويتصدق بما فضل من راتبه التقاعدي قبل أن ينزل الراتب الذي يليه، ومات رَحِمَهُ ٱللَّهُ ولم يترك من النقد ما يُذكر.

وكان لا يكاد يردّ حاجات من يطلب الإعانة من المساكين ولو في الشيء اليسير، فمع اهتماماته الكبيرة لم يكن يترفع عن

الحاجات الصغيرة للفقراء والأرامل، ومن المتكرر أن تكلّمه إحداهن ـ بواسطة الوالدة أو إحدى أخواتي ـ عن مكيف بيتها أو غسالته أو ثلاجته إذا تعطّلت، فيسعى في إصلاحه إن كان يمكن إصلاحه، أو يرفع حاجتها إلى بعض المحسنين ليأتوها بجهاز جديد، فجزاهم اللّٰه خير الجزاء، فنعم الأعوان على الخير كانوا.

وكان قائما بحاجات الضعفاء، ولما كثرت أعماله أصبح يوكل في بعض تلك الأعمال.

حدثني أحد أصحابه قال:

وصّاني الشيخ بتعاهد عجوز وحيدة في بيتها، فجاء معي حتى عرّفني منزلها، فلما خرج سألتها عن هذا الرجل وعن قرابته لها: فقالت: إنه يأتي منذ كذا وكذا، يتفقد البيت، ويُصلح ما يحتاج إلى إصلاح، ويضع لي قوتا ونفقة...

وكان باذلا للشفاعة للقريب والبعيد، ولا سيما للضعفاء، كم مرةٍ رأيت جماعة من العمّال البنغاليين في الحي يأتونه يشكون إليه أن أحدا من أصحابهم محبوس في الشرطة أو الجوازات، ويطلبون منه متابعة قضيته، فيسعى فيها بنفسه إن قدر، أو يرسل أحدا من طرفه أو يوصي أحدا من معارفه.

وإذا كان لنا عرس وقُدِّم العشاء، أرسل من يدعو السائقين

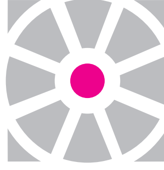
(الذين يجلسون في السيارات) فيهتمّ لذلك حتى يعلم أن السائقين دخلوا وتعشّوا.

وكان من عادته رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا اجتمعنا عنده، وأحضرت أخواتي الحلوى و(الفطائر) وبقي شيء منه قال: ما رأيكم في أن نتصدق بما بقي؟ فيوصله أو يأمر من يوصله إلى بيوت بعض الفقراء أو الأيتام.

وفي آخر حياته وبعد وفاته اتصل بي كثير من الفقراء، بعضهم لا أعرفه، يقولون: لا تدرون كم من الفقراء يدعون للوالد!

أما في أيامه الأخيرة فلا يعلم إلا الله عدد الذين أُفرج عنهم بسببه من المديونين المعسرين، فكان يجتهد في التحري عن أحوالهم والتحقق من استحقاقهم للمساعدة، ثم يسعى لهم عند المحسنين للسداد عنهم، أو التخفيف من ديونهم، أو توكيل من يرافع في المحكمة عنهم، أو سدّ حاجات أُسرهم، أو قضاء حاجات أولادهم في المدارس وغيرها.





الدعوة والاحتساب

حمل رَحِمَهُ اللَّهُ رسالة الدعوة إلى الله تعالى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر منذ فتوّته، فكان ـ منذ هو طالب في الثانوية ـ قدوةً في الخير، داعيا إلى الله تعالى بحاله ومقاله، وكان له حلقة لتعليم القرآن، حفظا وتجويدا ودرسا.

ولما تخرج عيّن معلما للمرحلة الثانوية في وزارة المعارف، وذلك عام ١٣٩٩هـ، فكان معلما متميّزا ومؤثّرا في تدريسه، محبَّبا إلى طلابه.

يقول أحد طلابه:

كنّا ونحن طلاب في الثانوية كثيرا ما نتندّر بالمدرسين ونسخر بهم، إلا الأستاذ فهدا، فكان له في نفوسنا محبة ومهابة.

وما أكثر ما رأيت رجالاً يبتدرون السلام عليه في أماكن كثيرة، يعانقونه ويقبلون رأسه، ويذكّرونه بأنفسهم أنهم من طلابه الذين درّسهم، وربما همس لي أحدهم قائلاً: إنه من أحسن المعلمين الذين بقيت آثار تعليمهم وتربيتهم في نفوسنا.

وإلى جانب تعليمه في المدرسة أقبل على تعليم الشباب وتربيتهم، في المساجد والمنازل والمراكز الصيفية والرحلات الطلابية، وفتح لهم قلبه وبيته.

وكانت عامة دروسه تدور على تنمية محبّة اللّه تعالى وتعظيمه والإخلاص له، واتباع سنة نبيه ﷺ والتسليم لها، والتفقّه في دين اللّه، وبيان المنهج النبوي في الدعوة إلى اللّه تعالى والإصلاح، وأسباب الثبات على الدين والعصمة من الفتن.

بذَل في هذا السبيل جهده ووقته، فتخرج تحت يده مئات الطلاب، واستفادوا منه أيما استفادة، فقد أثّر في قلوبهم سمتُه وأدبه وعبادته قبل أن يؤثّر فيهم كلامه.

تقول إحدى قريباته، وكانت معلمة للقرآن:

عَلِم الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنني معلمة قرآن، فكان مما قال لي:

ليس المهم أن تحفظ طالباتك القرآن، الأهم أن يُحْببن القرآن، وسيحفظنه بعد ذلك بإذن اللّه.

ويقول أحد تلاميذه الذين صحبوه في حدود عام ١٤٠٢:

درست على يديه في منزله عشائية أسبوعية لا تقل عن ثلاث ساعات، تشتمل على شرح خمسة متون، لمدة ثلاث سنين، طيلة مرحلة الدراسة الثانوية، ومما حفظت على يديه سورة الكهف مع

تفسيرها، لم ينقطع أو يعتذر فيها مرة واحدة طيلة ذلك العهد. اللهم ارض عنه وأرضه!

كانت تربية الشباب شغله الأول، وكان رحمه الله معلما ربانيا، فتخرج على يده أجيال من الطلاب، تعلّموا منه اعتدال المنهج، واستقامة الخُلُق، والإيجابية والإصلاح، فكان منهم الفقيه، والمعلم، والتاجر، والطبيب، وغير ذلك.

وكانت تربيته ـ بحمد الله ـ تربية مباركة، فلا أعرف عن أحد من تلامذته رجلا معروفا بانحراف الفكر إلى غلو أو جفاء.



عمل رحمه الله في التعليم في المرحلة الثانوية عشرين سنة، تخلل هذه المدة سنتان أُعير فيها إلى رئاسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبعد أن بلغ سن التقاعد المبكر رأى أن يتقاعد ليتفرغ للدعوة إلى الله تعالى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان ذلك عام ١٤١٩.

وبعد تقاعده أقبل على الدعوة إلى الله تعالى والاحتساب إقبالا كليّا حتى وفاته رحمه الله.

وكنت أظنه بعد التقاعد سيرتاح بعض الراحة، ويُعطي نفسه حظّا من الإجمام، فأخطأ ظني، إذ كان بعد تقاعده أكثر عملا واجتهادا.

فكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ كبير الاهتمام بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويكفي في مكانة هذه الفريضة أن الله تعالى في كتابه الكريم قدّمها في الذِكر على الإيمان به تعالى وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة!

قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وقال: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ [التوبة: ٧١].

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ جريئا مقداما، صادعا بكلمة الحق، دائبا لا يفتر ولا يكلّ، لم يكن عظيم البِنية، ولا جهير الصوت، لكن له قبول ومهابة، ولقوله وقع وتأثير.

والعجيب أن أكثر الذين يتقدّم إليهم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالمناصحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يلينون له حين يرونه ويسمعون كلامه، ويتأثرون بتقواه وسمته وأدبه وخلقه وصدق نصحه، حتى من عُرِف منهم بالغلظة أو النفور من الأخيار.

وسأحاول فيما يلي إبراز معالم من منهجه وطريقته في التربية والدعوة والاحتساب:

❖ لزوم السنة:

كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ شديد التحري للسنة في شؤونه عامة، وفي الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خاصة.

ومن أجل ذلك كان حريصا على العلم، مجتهدا في طلبه، وقد تقدم ذكر قصته في التحوّل من دراسة الطب إلى دراسة الشريعة.

وفي أثناء ذلك وبعده وإلى أن مات رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان قريبا من العلماء، يحضر دروسهم، ويرجع إلى مشورتهم، ممن أعرف من مشايخه: الشيخ عبد العزيز بن باز، والشيخ فهد بن حميّن، والشيخ صالح العلي الناصر، رحمهم اللّه.

أما شيخه الذي لازمه فهو الشيخ الوالد عبد الرحمن البراك متّعنا اللّه به، لا أعلم متى بدأت صحبته له بالضبط، لكن الذي أحفظ أنه من عام ١٤١٤ كان ملازما للقراءة عليه، والرجوع إليه في الاستفتاء والاستشارة، وقرأ عليه كتبا من المطولات، منها التمهيد لابن عبدالبر، وأكثر صحيح مسلم، ومختصر تفسير ابن كثير لأحمد شاكر، وبعض كتب شيخ الإسلام ابن تيمية.

وإلى حضوره الدروس كان دائم الاستماع إلى الدروس العلمية المسجلة، فإذا كان يسير في السيارة فإن لم يكن يقرأ وِرْده من القرآن فهو يستمع إلى دروس الشيخ عبد العزيز بن باز ـ وخصوصا

شرح المنتقى ـ أو دروس الشيخ محمد بن عثيمين، رحمهما الله، أو غيرها من الدروس العلمية، وكذلك إذا جلس على الطعام وحده كان يستمع إلى هذه الدروس، وأحيانا يستمع هو وأمي.

ورأى مرة: أنه هو وأمي والشيخ ابن باز بعضهم بجانب بعض، يزاحمون الشيخ بالمناكب.

فقصّ عليها الرؤيا وقال: لعل هذا لاستماعنا إلى دروس الشيخ.

وكان يُربي تلاميذه على طلب العلم ولزوم العلماء، ويخصّ من يرى منهم استعدادا وقابلية بالعناية والتوجيه.

ومن وقفاته التي سمعتها منه مرارا: وقوفه عند قول ابن عباس في قصة حدوث الشرك في قوم نوح: (حتى إذا هلك أولئك وتنسّخ العلم عُبدت)[(١)]، فيقول: في هذه القصة بيان قدر العلم ومضرة فقده، وأن سبب فقد العلم موت العلماء.

ويقف عند قول الله تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟﴾ [هود: ١١٢]، ويقول: الخشية على أهل الاستقامة من الطغيان ـ وهو الغلو ومجاوزة الحد ـ أشد، والواجب الاستقامة على أمر الشرع.

(١) رواه البخاري (٤٩٢٠).

وكان دائم الجلوس بعد صلاة الفجر في المسجد، لا يُخلّ بهذه العادة، فيأتيه في أغلب الأيام من يقرأ عليه من الطلاب، فقرئ عليه في ذلك كتب كثيرة، أذكر منها: جامع العلوم والحكم، ومعارج القبول، والشريعة للآجري، والزهد للإمام أحمد، والاعتصام للشاطبي، سوى المتون المختصرة ككتاب التوحيد وكتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فقرئت عليه مرات كثيرة، هذا في درس الفجر، وهو الدرس اليومي الراتب، سوى الدروس الأسبوعية المتنوعة، العامة والخاصة، التي كان مواظبا عليها.

وكان محبا لكتب السلف، مؤثِرا لها على كتب الرأي والفِكر، يقرؤها ويُقرئها، ولا سيما كتب ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ولما تخرجت من الثانوية أحببت أن أدرس الجامعة في القصيم لأحضر دروس الشيخ محمد بن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فاستأذنته في ذلك، فقال: سأستخير، ثم قال لي كلمة لم أنسها، قال:

يا بُني! أنا أب، ولكن عاطفتي عاطفة أم! لكني سأُعينك على طلب العلم، فانطلق وفقك الله...

جزاه الله عني خير الجزاء...

وكان معنيّا بإغاثة إخوانه المسلمين المحتاجين للإغاثة في كل مكان، لكنه كان يعتني عناية خاصة ومقدّمة بكفالة الدعاة إلى الله تعالى، ويرى أن حاجة الناس إلى المعلّمين الذين

يُخرجونهم من الكفر إلى الإيمان، ومن البدعة إلى السنة، أعظم من حاجتهم إلى الطعام واللباس.

يقول أحد الدعاة من أفريقيا:

عرفت الشيخ رحمه اللّه تعالى متّبعا لمنهج السلف في الدعوة والتعليم والتربية، فكان سمت الشيخ وهيئته ومظهره يذكر باللّه تعالى، ويحمل من يراه على احترامه والاقتداء به والاهتداء بهديه.

لم أسمع من الشيخ حديثا ولا كلمة واحدة عما يسمى بالجماعات والحركات والتحزبات، وكُلّ همه رَحِمَهُ اللَّهُ الوصية بالسنة ونشرها والعمل بموجبها في الدعوة والإرشاد.

وينصح كثيرا بالنأي عن السرية في الدعوة في المجتمع الإسلامي، ولم يعرّج قط معي في تصنيف المسلمين.

يقول هذا الداعية:

ومن المواقف التي أثّرت فيّ وأحدثت لي نقلة في طبيعة التفكير: أني ذكرت له اختلاف المسلمين وانشقاقهم في جمعياتهم، وقارنت وضعهم بالنصارى.

فقال: إنّ اختلاف المسلمين هذا عندكم اختلاف سطحي لا يرقى إلى اختلاف النصارى؛ لأن اختلافهم في أصل دينهم ومبادئهم!

هذه كلمة عملت عملها في نفسي ونفعني بها وبقيت أتابع

وأقارن بين الاختلاف الإسلامي والاختلاف النصراني، وتوصلت إلى عدد من الحقائق استطعت بها القضاء على كثير من دعوى اتفاق النصارى في دينهم. اهـ

❖ ومن مواقفه الدالّة على تحريه للسنة:

تبِع مرةً جنازة امرأة، فلما فُرِغ من دفنها رأى ابنَ هذه المرأة يريد أن ينصرف عن القبر إلى مكان العزاء، فأمسك بيده وقال: ادع لأمك واستغفر لها واسأل اللّه لها التثبيت.

ثم جاء رجل وأخذ بيد الابن، فأمسك الشيخ به، فقال ذلك الرجل: يا شيخ، أبوه يدعوه ليكون معه.

فقال الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أمك، ثم أمك، ثم أمك، ثم أبوك.

ومثل هذا حصل معي ومع إخوتي، فكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يأمرنا بتقديم أُمي عليه في الخدمة والبِر، ويُذكّرنا هذا الحديث.

❖ الشعور بالواجب والتركيز عليه:

مِن أوضح صفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ شعوره الدائم بفريضة الدعوة إلى اللّه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويدعو إلى اللّه تعالى لأن اللّه تعالى أمرنا بذلك: ﴿وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ﴾ [الحج: ٦٧ ـ القصص: ٨٧]، ﴿وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ [لقمان: ١٧].

هذا الشعور ظهر أثره في استمراره في أداء رسالته، في استقامة واعتدال، وسكينة وتوازن.

فقد مرّ به في حياته الإصلاحية قلاقل ومُزعجات تستفزّ المهتمّ بالإصلاح والدعوة إلى اللّه، فكان رَحِمَهُ اللهُ مع غيرته الكبيرة مستقرّ النفس، ثابت الخُطا، لم تستزلّه تلك الشدائد ـ بحمد اللّه وتوفيقه ـ إلى تهوّر وعَجَلة، ولا إلى وَهْن وتخلٍّ عن حمل الرسالة وأداء النصيحة لدين اللّه.

وأحسب أن ذلك ـ بعد توفيق اللّه ـ يعود إلى هذا: أنه يرى أن الإنسان مسؤول أمام اللّه تعالى عما يقدر عليه من الإصلاح، فعليه أن يكون تركيزه واهتمامه محصورا في دائرة تأثيره، وليس الإنسان مسؤولا عن أفعال الناس ولا محاسبا عن استجابتهم.

ومتى اتّضح هذا الأمر في تصوّر المصلح انزاح عنه همّ كبير، وعلم أنه ليس مطالبا بالاندفاع واتخاذ المواقف غير المدروسة، ولا مطالبا أيضا بالتنازل وتطويع شرائع الدين لتلائم أذواق الناس وشهواتهم.

هذا الأمر أحسبه من أسباب ثباته على منهجه.

وإذا كان الداعي إلى اللّه تعالى هكذا طابت نفسه، ورضي

عن اللّه، وفرح بما وفقه إليه من الخير، وازداد نشاطا وجِدّا في العمل الصالح المثمر.

من كلماته ـ رحمة الله عليه ـ:

«المؤمن عبد لربه، ليس مسؤولًا عن النتائج، عليه أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ـ إذا وجد ما يقتضيه ـ بالطرق الشرعية، والنتائج لم يكلف بها.

قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ﴾ [الطلاق: ٧]، وقال ﷻ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وهذا في جميع التكاليف الشرعية، ومنها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وسماحةُ الشريعة ويسرها يعم جميع واجباتها، ومنها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».

وأمر آخر له أثر كبير في استقامة منهجه:

❖ النظر إلى جانب القضاء والقدر، والثقة بحكمة الله تعالى:

فكان ينظر دائما إلى جانب القَدَر، ويعتقد أن ما يقع من الأمور التي نكرهها (من وقوع المنكرات أو المآسي على المسلمين) لم يقع إلا بتقدير اللّه تعالى، وله الحكمة البالغة في ذلك، وهو سبحانه قدير على رفعه لو شاء، لكنه يبتلي عباده، فيرفع درجة الثابتين والصابرين والمتقين والتائبين، وفي وقوعه خير عظيم لا يحصل لو لم يقع.

وكثيرا ما كنا نسمع بمنكر وقع، أو مصيبة أصابت المسلمين، فنأتيه ونحدثه بذلك، ونحن نتوقع أن نرى منه الانزعاج والحزن؛ لما نعرف من اهتمامه لأمور الدين ـ فما نرى منه إلا السكينة، والتذكير بحسن الظن في الله، ويقرأ: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

ومن الآيات التي كان يقرؤها كثيرا في مثل هذا المقام:

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [التين: ٨]،

هذا الشعور ينشر في نفس المؤمن السكينة والطمأنينة، ويزيح عنها الخوف من المستقبل، والأسف على الماضي، ويجعل تركيزه منصبّا على ما يقدر عليه من الإصلاح لنفسه ولغيره، في طمأنينة وسكينة وحسن ظن في الله تعالى، وعدم إخلال بأعمال الإيمان الأخرى، كجانب العبادة وطلب العلم وحقوق الأهل وغير ذلك.

❖ الاستعانة بالله تعالى ودوام اللجوء إليه:

هذا خُلُق أصيل من أخلاقه رَحِمَهُ اللَّهُ، فكان دائم الاستعانة بالله تعالى على أمور الاحتساب والإصلاح بالصلاة والدعاء، فلا يشرع في عمل من أعمال الاحتساب والمناصحة إلا بدأ بالاستغفار وقدّم بين يديه الصلاة والدعاء والاستعانة بالله تعالى وسؤاله البركة والتوفيق والهداية والسداد والقبول.

ويذكر أهلي أنه في إحدى الليالي كان يصلي ركعتين طويلتين

ثم يكتب كتاب احتساب (رسالة نصيحة في أمر من الأمور المهمة)، ثم يصلي مثلها، ثم يكتب، ثم يصلي ثم يكتب، وهكذا.

وكثيراً ما يوصي المصلحين بقول اللّه تعالى ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: ٤٥].

وكان إذا همّ بأمر من أمور الاحتساب مما تخفى عاقبته لم يعزم عليه حتى يستخير اللّه تعالى.

وإذا عرض له أمر عاجل لا مُهلة فيه للاستخارة كان يكثر من قول: يا حي يا قيوم! يا ذا الجلال والإكرام! اللهم اهدني وسددني!

وحدثني جماعة من أصحابه في قصص متعددة أنه جرى لهم في بعض الأسفار صعوبات وشدائد لا حيلة لهم في دفعها، مثل نفاد وقود السيارة في مكان بعيد عن محطات البنزين، أو فقد مفتاح السيارة ولا مفتاح معهم غيره، أو نحو ذلك، فكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يعتزل ناحيةً عن الرَكْب ويظل يصلي صلاة طويلة القيام والركوع والسجود حتى يأتي الفرج من اللّه.

وحدثني أحد طلبة العلم قال:

بلغني ذات ليلة خبرٌ مُقلق، فأحاط بي الهمّ والحيرة، فاتصلت بالشيخ فهد، وقلت له: أريد لقاءك الليلة لأمرٍ مهم!

فواعدني عند مسجد، فالتقينا عنده الساعة الحادية عشرة ليلا، فأخبرته ذلك الخبر.

فلما فرغت من حديثي ما زاد على أن قال: كان النبي ﷺ إذا حَزَبه أمر فَزِع إلى الصلاة؛ فهلُمّ فلْنصلِّ.

فدخلنا المسجد، فقام يصلي، وقمت خلفه أُصلي، فصلّيت ركعتين، فإذا الشيخ لم يقض صلاته، فصليت ركعتين أُخريين، ثم ركعتين، ثم انتظرته، ثم استلقيت على ظهري أنتظر فراغه، وظلّ هو في صلاته، فكانت صلاته الركعتين خمسا وأربعين دقيقة.

فلما فرغ من صلاته أتيته لأسمع منه مشورته في ذلك الأمر المهم، وكيف الحيلة في دفعه، فما كان منه ـ بعد أن صلّى ـ إلا أن صافحني وودّعني وانصرف!

فبقيت متعجّبا، ووعظني ذلك الموقف من الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ موعظة بليغة، مُفادها: أن كل محذور أخشاه فالكاشف له والحافظ منه هو اللّه؛ فليكن توكّلنا عليه ولَجَؤنا إليه.

وكان يحرص جدا على الدعاء للمسلمين بالخير، ويوصي بهذا كثيرا، ويقول: الناس لا يعلمون قدر الدعاء!

فكان كثير الدعاء، وإذا سمع بخبر يسرّ أو يسوء للمسلمين، أو بخبر خفيّ العاقبة قابل ذلك بالدعاء للمسلمين بالخير وحسن العاقبة.

وكان كثير الحمد للّه تعالى وشكره إذا حصل للمسلمين نعمة أو نصر أو اندفع عنهم بلاء، ويقول:

إنّ حمد اللّه على ذلك من أسباب زيادة الخير؛ لأن اللّه تعالى يقول: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

فيقول: الشكر سبب الزيادة، فإذا كان الشكر على نعمة عامة كان المزيد عاما للمسلمين.

ويقول:

يؤسفني أن كثيرا من الصالحين غافل عن هذا، فلا تجده إلا متتبعا ومذيعا للأخبار التي تغمّ إخوانه، ولا ينظر إلى أخبار الخير، وأحرى ألا يحمد اللّه عليها.

ومن أكثر الأمور حزنا له: خبر موت أحد من الصالحين، الرجال أو النساء، ولو كان من العوام والمغمورين، فيسترجع، وكان يرى في بقائهم ودعائهم وصلاتهم خيرا عامّا للمسلمين.

❖ ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾:

هذه السمة ثمرة للمبادئ التي ذُكرت أول هذا الفصل، فكان رَحِمَهُ اللَّهُ يسعى في استنهاض همم الصالحين ليكونوا مصلحين، والرُّقيّ بهم من حالة الشكوى من الواقع ولومه إلى المساهمة في إصلاحه، لكنه مع ذلك لا ينتظرهم، ولا يقف عمله على

مشاركتهم إياه، بل يمضي في سبيله، فيفعل ما يقدر على فعله، ولا ينشغل بالعَتَب واللوم.

وكثيرا ما يقال له:

ما بال المشايخ لا يفعلون كذا، والشرهة (العَتَب) على فلان وفلان أن لم يقل كذا! فيقول: استعينوا بالله، ولن يسألنا الله عن أحد، ولن يضرنا تقصير أحد، إذا فعلنا ما نقدر عليه. ويمضي في إصلاحه، لا ينتظر كبيرا ولا صغيرا، ولا يعتب على أحد، ولا يتكلم في أحد.

حدثنا يوما فقال:

حدث منكر من المنكرات، فذهبت إلى رجل من أهل العلم والمكانة ألتمس منه أن ينهض في إنكار هذا المنكر وأن يرفع النصح فيه إلى الولاة. فلما كلّمته ردّ علي ردّا جافيا غليظا، ولم ألقَ منه ما أمّلته من المساعدة، فرجعت منه مهموما حزينا، فنمت، فسمعت في المنام قارئا يقرأ:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ﴾ [يوسف: ١١٠]، يقرؤها بالمدّ والإمالة!

يقول: فاستيقظت مستبشرا وقد ذهب عني ما أصابني من الحزن.

وكان مع إقباله على الاحتساب (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، وسعيه في إحياء هذه الفريضة في نفوس المسلمين خاصةً

وعامة، ومع ما يلقاه من بعض إخوانه من تثاقل عن القيام بهذا الواجب، كان رفيقا في معاملتهم، حليما عند إبطائهم، صبورا على تكاسلهم، فلا يعتب، ولا يغضب، فضلا عن أن يهجر، بل كان مقدِّما لحسن الظن، وسلامة الصدر، مقدّرا لجهودهم وأعمالهم.

ومع عنايته الكبيرة بالاحتساب لم يكن يستهين بأعمال الإصلاح الأخرى، مهما صغرت، ولا مهوّنا لجهد القائمين بها، بل كان يشكرهم على جهودهم، ويشاركهم فيها، مدركا أن الإصلاح لا يتم إلا بجهود متظافرة، وأن أعمال الإصلاح يكمل بعضها بعضا.

وكان يرشد كل أحد إلى أفضل ما يقدر عليه من أعمال الإصلاح وتسمح به نفسه، فمن لم ينشط للعمل الكامل أو لم يقدر عليه وانصرف إلى ما دونه لم يزهّده فيما ذهب إليه، بل يعينه ويُثبّته عليه، ويسعى في ترقيته إلى ما هو أنفع في رفق وحكمة.

❖ شمول الإصلاح لطبقات الناس وفئاتهم:

فكان جهده في الدعوة والإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شاملا لما يستطيعه من أصناف الناس، فكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ ناصحا للكبير والصغير، أئمة المسلمين وعامتهم، قريبهم وبعيدهم.

وإذا أردتُ أن أُدخل السرور عليه حدّثته بأخبار عن انتشار الإسلام وظهور السنة ونجاح الدعاة إلى الله، فيفرح بها كثيرا ويُكثر من حمد الله.

يقول أحد الدعاة الفضلاء من سيراليون:

تعرفت على الشيخ في فترة تحضيري لرسالة الماجستير عام ١٤١٨، واستمرت معرفتي به إلى مرحلة الدكتوراه ثم إلى حين مغادرتي للمملكة عام ١٤٢٩، ومن ثم إلى وفاته رحمه الله تعالى.

سمعت قرع بابي ذات يوم عام ١٤١٨، فإذا بأحد أصدقائي السعوديين في صحبة الشيخ، فتفضل بالدخول في كسر بيتي، وكان بيتا شعبيا من الطراز القديم المتواضع جدا، وتفضل بالسلام والجلوس، وبعد التعارف أخذ في الاستفسار عني وأحوال الدراسة والمرحلة وعن البلاد، وسأل عن أحوالها وسير الإسلام ووضع أهل السنة، وعن الجالية السيراليونية في الرياض، وعن المدة التي قضيتها في المملكة، وعن الدعوة بين الجالية في المملكة وفي البلاد، فكنت أجيبه ـ رحمه الله رحمة واسعة ـ بكل اختصار وإجلال وتقدير.

من ذلك الوقت توثقت الصلة بيني وبينه، فكان كثير التفقد عن حالي وسير الدراسة والبحث، وأين وصلت، وعن الجالية وبرامج الدعوة فيها، وعن المعهد في سيراليون وأخباره، وهذه الاتصالات والاستفسارات والتفقد يقوم بها الشيخ بالاستمرار.

ففي الأسابيع الأولى كنت أظنه أمرا عاديا، فكم من شخص عابر سأل عن مثل هذه المعاني ولم يترتب على أسئلته أي معنى

جديد، ولكن متابعة الشيخ واهتماماته وتركيزه على هذه الموضوعات حملني على بذل المزيد من الجهود في هذه المجالات وأخذ الأمر بالجدية؛ كي لا أنقل إليه صورة غير الواقعية.

وهذا ـ لعمري ـ مهارة دعوية، قادرة على تحويل المستهدف من مرحلة لأخرى لا يشعر بها المستهدف إلا بعد تحقق الهدف، وقد علّمتني طريقته هذه ثقافة المتابعة وتفقد أحوال الأصحاب.

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ كثير التنبيه على الاهتمام بأفراد أسرة الداعية، وعدم تغليب أعمال الدعوة على العناية بأفراد الأسرة.

وكان ـ رحمه اللّه تعالى ـ عطوفا على طلبة العلم الغرباء، حريصا على معرفة أحوالهم، وكان يقدم لي مساعدات لحل مشكلاتي الاقتصادية فكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقدم لي معونة مالية للتفرغ لمتابعة دراساتي؛ مما ساهم في إنجاز رسالتي الماجستير والدكتوراه في وقت مناسب جدا، فلم احتج إلى تمديدات للمدة؛ بفضل اللّه ثم بفضل عناية الشيخ ـ رحمه اللّه تعالى ـ ثم بدعمه وصدق وقوفه ومساهماته مما ذلل الطريق ويسر السبيل.

وكان الشيخ ـ على علمه وفضله ـ يزورني ويحمل لي هدايا ويقطع مسافة بعيدة من منزله في شرق الرياض إلى منزلي في وسط الرياض؛ لمجرد الزيارة والإهداء، وحدث هذا مرارا؛ فكنت أتضايق لمنزلته عندي؛ فناشدته باللّه أن يتصل بي كلما أرادني

لأمر، وبعد المناشدة الشديدة كنتُ بعدُ أتصل به لزيارته ورؤيته رحمه الله تعالى.

وكان ـ رحمه الله تعالى ـ دائم السؤال عن سيراليون وسير الدعوة فيها وعن المعهد الإسلامي وأحوال الدعاة وعن المنهج الدراسي وعدد الطلبة والمواد الدراسية والسؤال عن مشكلاته خصوصا مشكلة التشغيل، فقد كان للشيخ جهد بارز في وصول المعهد إلى هذه الحال التي هي عليها.

ثم سعى لي الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ أثناء إجراءات عودتي إلى البلاد لامتلاك سيارة جديدة من طراز (برادو ٢٠٠٩) للاستعانة في المواصلات والمهمات، وقد تحققت فراسة الشيخ رحمه الله تعالى، فكل الرحلات الدعوية والمهمات الإسلامية في المعهد والمجلس تمت بواسطة هذه السيارة خلال ١٠ سنوات.

وأسال الله جلت قدرته أن يجعل كل عمل عمله زرعا ينمو على تعاقب الأيام والليالي، وذخرا له في ميزان الله، وأن يبارك في عقبه وقومه آمين. اهـ

❖ الرفق في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

فكان الرفق هو الأساس في طريقته، والأصل في معاملته

للناس، ترى ذلك ظاهرا في مناصحاته ورسائله الاحتسابية وتعامله مع الناس.

ومواقفه في هذا كثيرة، يحضرني منها الآن:

أنه زار مرة أحد المسؤولين لمناصحته في شأن منكر وقع في إدارته، وكان معه أحد أصحابه، فلما دخل على هذا المسؤول وتكلّم معه أنكر المسؤول وقوع هذا المنكر، وقال: الخبر الذي وصلكم غير صحيح!

فبادر صاحب الوالد، وأخذ يجادل هذا المسؤول، ليثبت له وقوع المنكر، والمسؤول متمسّك بإنكاره.

فقاطعهما الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقال للمسؤول: لم يحصل هذا الأمر؟

فقال المسؤول: لا.

فقال الوالد:

الحمد لله رب العالمين! أين القبلة؟

فأشاروا إلى ناحية القبلة، فقام واستقبل القبلة وسجد لله شكرا.

ثم قام ودعا للمسؤول بالتوفيق والسداد وانصرف.

فلما خرج قال لصاحبه: إنّا لم نأت لتقريع الناس ولا لتبكِيْتهم، فإذا أبلغنا رسالتنا فقد أدّينا ما علينا. أو كما قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وله قصة أخرى شبيهة بهذه:

بلغه أن أحد المحتسبين ناصح مسؤولا في أمرٍ ما، وأن ذلك

المسؤول أيضا تنصّل من المنكر وأنكر وقوعه، وأن ذلك المحتسب ثبت على كلمته، حتى ألجأ المسؤول إلى أن يتصل بالمدير المباشر الذي وقع المنكر تحت إدارته ويسأله عن الأمر، فأخبره المدير المباشر بأن ذلك الأمر وقع حقا.

يقول هذا المحتسب:

لقيت الشيخ فهدا بعد ذلك في مجلس، وقد بلغه خبري مع ذلك المسؤول، فما قال لي شيئا، ولكن لما أردنا أن ننصرف أخذ بيدي، وسألني كالمستشير:

يا أخي! عندي أمر أرغب في أخذ رأيك فيه: ما رأيك في التصرف الأمثل إذا زرتُ مسؤولا لمناصحته في منكر، فأنكر وقوعه، فماذا أفعل؟

يقول المحتسب: فعلمت أنه قد علم بما حصل، لكني قلت له: ما الصواب في ذلك يا شيخ؟ فأعطاني رأيه في لطف وتواضع.

فكان الأصل في نصحه الرفق واللين، لكنه كان يغضب ويشتدّ في المواقف التي يرى فيها استهانة بشعائر الله تعالى وحدوده، وإذا رأى صاحب المنكر مصرّا، ورأى إفساده عاما فربما خوّفه بالدعاء عليه؛ زجرا له وردعا.

فكان ربما أغلظ في الإنكار إذا رأى اقتضاء الحال لذلك، لكن كان الرفق والحلم هو الأصل.

ولم يكن رفقه ولطفه مانعا له من إنكار منكرٍ إذا رآه:

جلس مرةً عند مدير مكتب أحد المسؤولين، ينتظر الإذن بالدخول على المسؤول، ولحظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ على ذلك الموظف مخالفة شرعية، فلم يكلّمه بحضور المراجعين، ولكنه كتب نصيحته في ورقة صغيرة ودفعها مع ابتسامة إلى ذلك الموظف، ثم دخل على ذلك المسؤول.

ويقول أحد جيرانه:

كان دائم التعاهد للجيران المتخلفين عن صلاة الجماعة، فزُرنا أحدهم يوما، فتحدث إليه الشيخ حديثا طيبا عن صلاة الجماعة.

فقال هذا الجار:

عليّ يمين ألا أصلي في المسجد!

فقال له الشيخ فهد:

كفارة يمينك عليّ.

ولم يزل به يرغّبه في صلاة الجماعة ويعظه حتى وعده الجار بأن يحافظ على الصلاة في المسجد.

فقام إليه الشيخ فهد وقبّل رأسه.

ويقول أحد رفقائه في الاحتساب:

كان الشيخ حليما، يحتمل أذى الناس ولا يغضب لنفسه.

صحبته مرةً في زيارة مسؤول كبير، فكلمه الشيخ فهد في

أمر من الأمور كلاما موزونا، بتوقير وأدب، كعادته في مخاطبته لذوي المكانة.

فردّ علينا المسؤول ردا قاسيا.

فأغضبني رده، فتدخّلت في الحديث، ورددت على المسؤول، وكان مما قلته له: إننا لم نأتِ لنسألك عطاءً أو مساعدة، إنما تجشّمنا المجيء من أجل تقصير واقع تحت مسؤوليتك.

يقول: فضرب الشيخ بيده على فخذي يسكّتني، ثم قال: هذا الأسلوب لا ينفع، هذا الأسلوب لا ينفع.

وكان لا يزور مسؤولا إلا ويبدؤه بكلام طيب، هو أحلى من العسل، وأنفذ في القلب من الماء على الظمأ، من غير إطراء ولا تملّق، فيقول:

أتينا نضع أيدينا في أيديكم، ونحن ندعو اللّه لكم دائما بالتوفيق، ونقدّر جهودكم، ونريد التعاون ليدرأ اللّه عن الأمة البلاء.

ثم إذا تحدث بما جاء من أجله: عرض الموضوع عرضا مقنعا، مؤيّدا بالدراسات والإحصاءات والمعلومات الموثّقة، ثم بين الموقف الشرعي بيانا مبنيا على الدليل، معززا بفتاوى العلماء المعتمد على فتاواهم في البلاد، وعضد ذلك بالأنظمة الرسمية الموافقة للحكم الشرعي، ثم انتهى إلى تقديم المقترحات والبدائل

العملية، ثم يختم ذلك بتقديم خطاب مكتوب محرر ليكون مذكّرة لذلك المسؤول، ووثيقةً تمكن متابعتها بعد ذلك بالرقم والتاريخ.

وكانت مواصلته للمسؤولين لا تقتصر على إنكار المنكرات، بل يواصلهم كثيرا يشكرهم على جهودهم السديدة، وأعمالهم النافعة، يبتغي بذلك تشجيعهم على الاستمرار عليها وعلى المبادرة إلى مثلها.

❖ سلامة الصدر وحفظ اللسان:

كان رَحِمَهُ اللهُ ساميا عن الأحقاد، نقي الصدر من الضغائن، هكذا أحسبه واللّه حسيبه، لم أسمعه يوما يتكلم في أحدٍ ظلمه أو أساء إليه أو يدعو عليه أو يتوعد بمقاضاته عند اللّه تعالى يوم القيامة.

وكان رَحِمَهُ اللهُ حافظا للسانه، لا يُسمع منه غيبة أو وقيعة في أحد، كبير ولا صغير، وكان يُحسن الظن في العلماء، وكان ورعه أكثر ما يظهر في منطقه، فكان قليل الكلام طويل الصمت، ولا يتكلم في شؤون الناس العامة إلا بما تترجح مصلحته، فإذا تكلم تجنّب الكلام في الأشخاص، وإذا تكلم أحد عنده في أحد بسوء قاطعه قائلا: اللهم اغفر لنا وله! أو أرشده إلى أن يقدم ما لديه من نصح إلى ذلك الشخص مباشرة.

وكان يعرف من أخبار المجتمع وشؤونه شيئا كثيرا، لكنه لا يتكلم مع كل أحد إلا بما يصلح له، وما ينفعه، متجنّبا ما يوغر الصدور ويُثير الفتن.

ومن الأحاديث النبوية التي كان كثيرا ما يذكرها في أحاديثه

وكتاباته: قول النبي ﷺ «ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة أئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم، فإن الدعوة تحيط من ورائهم»(١).

وأحسب أن عفة لسانه كانت ثمرة لإخلاصه، فأحسبه مخلصا في عمله، لا ينتقم لنفسه، ولا يتشفّى بغيبة مخالفيه، ومن أخلاقه التي اتفق عليها واصفوه: أنه لا يذكر شيئا من أعماله ولا يتحدث بها، وإذا احتاج إلى إفادة جلسائه بأمر جرى له كَنَى عن نفسه، فقال: بعض الإخوة فعلوا كذا، وقيل لهم كذا، ولا يقول: إنه من فعل ذلك؛ إخفاءً لعمله.

حدّثته يوما بمُنكر جرى من بعض الناس، فلما أردت أن أذكر اسم الرجل قاطعني قائلا: قُلْ (بعض الناس). يعني: لا تذكر اسم الرجل.

وكان ذلك الرجل ـ فيما أرى ـ مجاهرا بالمعصية، لكن الوالد رحمه الله يسمو إلى درجة عالية من الزهد والورع، فيترك

(١) رواه عن أنس رضي الله عنه: أحمد برقم (١٣٣٥٠). وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه: أحمد برقم (١٦٧٥٤)، وابن ماجه، برقم (٣٠٥٦). وعن زيد بن ثابت رضي الله عنهم: أحمد برقم (٢١٥٩٠)، وابن ماجه، برقم (٢٣٠). وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: الترمذي برقم (٢٦٥٨).

ما لا حاجة إليه من القول ولو لم يكن حراما؛ خشية أن ينجرّ الكلام إلى الحرام، أو خشية أن يعتاد لسانه الفُحش.

وقد روى مالك في الموطأ عن يحيى بن سعيد أن عيسى بن مريم لقي خنزيرا على الطريق فقال له:

انفذ بسلام!

فقيل له: تقول هذا لخنزير؟!

فقال: إني أخاف أن أُعود لساني المنطق بالسوء[(١)].

أخبرني أحد جلسائه قال: حضرت مجلساً فيه الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ، فتناول الحضور حديثاً عن منكر من المنكرات، وانساق الحديث إلى مسؤولٍ هو المعنيّ بذلك المنكر، فسألوا عنه الشيخ، فهمّ أن يتكلم، ثم وضع كلتا يديه على فيه، وكأنه يُسكّت نفسه، ولم يقل شيئًا!

ويقول أحد المشايخ الذين درّسوه في الجامعة:

إنه بعد تخرجه ربما خرجوا مع بعض المشايخ في رحلة دعوية هنا أو هناك، وأثناء سيرهم في السيارة ربما تطرقوا في حديثهم لأحد الناس، يقول: فيرفع أبو عبد اللّه صوته بالذكر قائلاً: لا إله إلا اللّه! فيكفّ الجميع عن المضي في ذلك الحديث.

---

(١) برقم (٣٦٠٩).

لم يكن من عادته الفضول في الكلام. يقول غير واحد من أصحابه:

كان جلساؤه يتحدثون قبل مجيئه فيما يتحدث فيه الناس، فإذا حضر الشيخ فهد أمسكوا، واتجه حديثهم إلى الموضوع الذي حضروا من أجله.

إذا ما تراءاه الرجال تحفّظوا فلم تُنطَق العوراءُ وهو قريب

❖ تجنّب ما يُثير الضغائن ويحرك الفتن:

كان رَحِمَهُ اللهُ مع غيرته الإيمانية متحريا للطريقة الشرعية في إنكار المنكر، فكان يتجنب من طرق التغيير ما يُخشى أن يعود بضرر راجح، أو إثارة فتنة، أو التعرّض لبلاء لا يطيقه، ولم يكن مجازفا ولا عجولا.

ومع اهتمامه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحثّه للناس على ذلك، لا تشعر في كلامه بحقد على أحد، أو إرادة تشفٍ، أو غضب من أجل الدنيا والاستئثار بها، وأحسب ذلك من أثر إخلاصه.

وكان عمله وإنكاره ظاهرا لا سرّيّا، أعني أنه كان يواصل المسؤولين مباشرة بالنصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مشافهة أو مكاتبة، فلم يكن له تنظيم خفي أو عمل سري.

وإذا رأى حاجة الناس إلى بيان المنكرات العامة والتحذير منها

بيّن ذلك بيانا يفهم به السامع حكم الشرع في ذلك الموضوع، ويفهم أن ما خالفه منكر مخالف للشرع، من غير تعرّض للولاة، ولا تهييجٍ للناس عليهم، فلا يحمله إنكار المنكر على مصادمة الولاة ومنابذتهم، ولا يمنعه حرصه على الجماعة من الإنكار والبيان، فكان وسطا بين ذلك، وذلك من فضل اللّه وتوفيقه.

❖ الشمول في الإصلاح:

فكان نطاق احتسابه واسعا، فلم يكن يتقيد بمنكرات معينة، بل كان يتحرى ـ ولا أُزكيه على اللّه ـ الدعوة إلى ما أمر اللّه به، والنهي عما نهى اللّه عنه.

فالمتبادر إلى كثير من الأذهان عند ذكر (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) إنكار أنواع معينة من المنكرات جرى فيها شيء من الإثارة والاختلاف بين الناس (كمنكرات الاختلاط مثلا) لكنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان واسع النطاق.

فمن ذلك:

يقول أحد أصحابه: دخلت عليه يوما، فامتدّ نظري إلى ورقة على مكتبه، فإذا هي رسالة كتبها إلى مدير شركة من شركات الصيانة والنظافة، يذكر فيها أنه رأى عمّال هذه الشركة يعملون في الشمس في شدة الحر، مع أن النظام يجعل لهم حقا في الراحة في ذلك الوقت.

وأخبرني أحد أصدقائه بخبر شبيه بهذا، قال:

كان يوماً عند مسؤول كبيرٍ يناصحه بشأن بعض المنكرات، إذ دخل مندوب شركة مقاولات متعاقَدٍ معها على نظافة تلك المدينة، وكان يريد استلام مستخلصات للشركة، فاستأذن الشيخ مبتسماً للمقاول وللمسؤول قائلاً:

أود أن استغل حضور مندوب هذه الشركة لمعالجة ما شاهدته من حشر عمال النظافة في صندوق بعض سيارات النقل الخاصة بالشركة لتوزيعهم على الأحياء بدون تكييف ولا مقاعد وخاصة في نهار رمضان!

فما كان من المسؤول إلا أن عاتب المندوب ونبهه على ذلك، وأكّد على إصلاح ذلك ومراعاة حقوق أولئك الضعفاء.

كذلك الشؤون البلدية كان يشارك في مواصلة المسؤولين بشأنها، فيكاتب المسؤول (مثلا) إذا رأى سوء تنفيذ في مشروع حفريات يُخشى منه الضرر على المارّة.

ومن عادته رَحِمَهُ ٱللَّهُ إنكار ما يراه من المنكرات، حتى المنكرات الشائعة التي ألِفها الناس، كحلق اللحية، فكان إذا زار أو جالس شخصا حالقا للحيته لم ينصرف من عنده حتى يأخذ بيده فيكلمه سرا ويذكّره بأمر النبي ﷺ بإعفاء اللحى ويرغّبه في طاعة النبي ﷺ في ذلك.

يقول أحد زملائه في التدريس:

حينما تعقد إدارة المدرسة اجتماعا للمعلمين كان الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يستأذن المدير بدقيقتين فيتحدث بنصيحة كلها نصح وشفقة ومحبة وحسبة عن معصيتين ظاهرتين: حلق اللحية والإسبال.

وكان يبذل النصيحة في هذه الأمور وغيرها للكبير والصغير.

أخبرني أحد كبار المسؤولين في إحدى الوزارات، أن الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ زار الوزير وكلمه في شأن من شؤون وزارته، فلما أراد الخروج نصحه بإعفاء اللحية؛ طاعة للنبي ﷺ.

ويقول آخر:

خرجت معه من إحدى القطاعات، بعد زيارة احتسابية لمديرها، فلما خرجنا سبقني الشيخ مسرعا إلى رجل أمامنا، فسلم عليه ثم فهمت من إشارته أنه ينبّه الرجل إلى الأخذ من شاربه، وامتثال أمر النبي ﷺ بإحفاء الشوارب، فقد كان شارب ذلك الرجل طويلا طولا فاحشا.

فلم يكن يشغله معالجة الكبير من المنكرات عن صغيرها، وكانت هذه عادته في الأمر والنهي، لا يكاد يسكت عن منكر رآه وهو قادر على إنكاره، ولو كان صغيرا أو مألوفا.

ويقول أحد الأطباء:

جاءني الشيخ فهد في عيادتي ومعه والدته رحمها الله في

مرضها، وكان معي في العيادة ممرضة عربية متبرجة، فرأيت الشيخ جلس في صالة الانتظار وكتب رسالة نصح وتذكير بالله تعالى لهذه الممرضة، ثم دفعها إليها وانصرف.

وكان إذا رأى سيارة عليها تمائم (كما يفعل بعض العمّال الوافدين بتعليق خِرَق سوداء على سياراتهم، يعتقدون أنها سبب للوقاية من الآفات) فإذا رأى ذلك أشار إلى سائق السيارة ليقف، ثم نزل إليه وسلّم عليه وعلّمه في رفق أن هذا لا يجوز، وأن الواجب التوكل على الله تعالى، ثم ذهب إلى التميمة وقطعها، وكان معه في سيارته سكين صغيرة أعدّها لهذا.

وكان باذلا لما يستطيع من العلم والرأي والنصح، فكان يُجيب من طلب منه إلقاء كلمة أو موعظة أو زيارة، ولا يردّ من يطلب منه إفادة أو تعليما أو استشارة أو إصلاحا إذا قدِر.

وفي حيّه رتّب هديةً للجار الجديد، بقصد تقوية ارتباطه بالمسجد وجماعة المصلين، وفي هذه الهدية هدية خاصة بأطفاله أيضا.

وكان يرغّب أطفال الحي في الصلاة في المسجد، وربما بعث لأحدهم هدية شخصية لتحبيبه في المسجد.

ومرةً كان بالقرب من المسجد استراحة يجتمع فيها جماعة ولا يصلون في المسجد، يقول أحد الجيران: فدعاني الشيخ يوما لنذهب إليهم، فأتيناهم مع الأذان، واستأذنّا ودخلنا عليهم، فلما

رأوا الشيخ قاموا إليه ورحبوا به، فكلّمهم ووعظهم موعظة قصيرة في شأن الصلاة، والصلاة في المسجد خصوصا.

يقول الجار: ثم خرجنا فخرج معنا أكثرهم إلى المسجد، ثم رأيت بعض أصحاب تلك الاستراحة أصبحوا من المداومين على الصلاة معنا في المسجد مدة طويلة.

❖ المداومة والاستمرار:

من البيّن في سيرته الإصلاحية رَحِمَهُ اللَّهُ الاستمرار في الإصلاح، من غير تعلّق بالنتائج، فالمنكر ما دام قائما، وما دام زواله ممكنا؛ فإنكاره مشروع.

ولذلك كان من عادته رَحِمَهُ اللَّهُ إعادة المناصحات الخاصة والعامة وتكرارها المرّة بعد المرّة.

❖ الإتقان:

لم يكن العمل عنده رَحِمَهُ اللَّهُ عملا مرتجلا، بل كان عملا متقنا، ومن سِمات الإتقان وجودة الإدارة لديه ما يلي:

ـ التخصص (استفراغ الوقت والجهد): لم يكن نصيب الاحتساب من وقت الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ الفضلة، بل كان هو الشغل الأول والهمّ الأول، ومن الطريف هنا: ما حكاه بعض أصحابه رَحِمَهُ اللَّهُ قال: كنا إذا جلسنا مع الشيخ في شأن من شؤون الاحتساب، وطال مجلسنا، وأراد أن يُجدد نشاطنا، ربما قصّ علينا رؤيا رآها،

فكانت رؤاه تدور حول الاحتساب وحوادثه! يقول: فكان يعيش مع الاحتساب في يقظته ونومه!

ـ **التأصيل الشرعي:** فكانت مخاطباته مؤسسة على أدلة الشرع، مؤيّدة بفتاوى العلماء المعروفين المعتدّ بفتاويهم.

ـ **النظامية:** فله عناية ومعرفة جيدة بالأنظمة الرسمية وما يتفرع عنها من قرارات وتعميمات، ويستند إليها في مخاطباته.

ـ **الموضوعية والتوثيق:** فإذا أراد معالجة منكرٍ ما، حرص على جمع كل ما يُبين طبيعة ذلك المنكر، من الدراسات والبحوث والتقارير والمنشورات الصحفية والتجارب العالمية وغيرها، يجمع ذلك، ثم يستعين به على تصوّر المشكلة وأسبابها وأفضل الطرق في علاجها، ثم يقدم معالجته معززة بهذه المستندات.

ـ **التعاهد:** كان يحرص على تعاهد الجهات الرسمية بالنصيحة والتنبيه والتذكير، فكان لديه جدول للزيارات، سجّل فيه أسماء تلك الجهات، وتاريخ آخر زيارة قام بها هو أو غيره من المحتسبين، فيستعين بهذا التأريخ على تعاهد الجهات بالزيارة؛ ليبقى الاحتساب الشرعي مألوفا في كل مكان.

ـ **الاستفادة من أصحاب التخصص:** كان يستعين بأصحاب التخصصات الإدارية والاجتماعية وغيرها على إجادة عمل الاحتساب، عن طريق الاستشارات وإقامة الدورات وغير ذلك.

ـ **تقييد المخاطبات الرسمية:** إذا خاطب مسؤولا لم يكتَفِ بالمناصحة الشفهية؛ لأنها تُنسى، بل يأتي وقد أعد خطابا حرر فيه ما يريد إيصاله إليه في إيجاز ووضوح، وضم إليه ما تدعو إليه الحاجة من مستندات ووثائق، ثم يقيّد خطابه ذلك تقييدا رسميا ليتمكن من متابعته بالرقم والتاريخ.

ـ **بناء العلاقات واستثمارها في الإصلاح:** مع طول ممارسته رَحِمَهُ ٱللَّهُ الاحتساب وسعة دائرة تواصله، وما رزقه الله تعالى من حافظة قوية؛ كانت لديه معرفة واسعة بالمسؤولين في عامة القطاعات. يقول أحد إخوانه في الاحتساب: لا أكاد أُكلم الشيخ بنيّتي في زيارة جهة حكومية إلا ويُخبرني عن المسؤول المختص بالموضوع الذي أريد المراجعة من أجله، وربما يزودني برقم هاتفه، ومكان مكتبه، واسم سكرتيره، وموقع منزله، والمسجد الذي يصلي فيه! لم يكن يحرص على هذه المعرفة لمصلحته الشخصية، بل كان يتوسل بها إلى الإصلاح والتعاون على البر والتقوى.

❖ الأناة والتثبّت:

هُما خلقان يُحبّهما الله تعالى كما أخبر النبي ﷺ، وكانا خلقا راسخا فيه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فكان مع غيرته وجِدِّه في الإصلاح وإنكار المنكرات متثبّتا، رزينا، ناظرا إلى العواقب، غير عجول.

ولم يكن ممن يستسهل القول، أو يطلق الأحكام جزافا، بل كان رَحِمَهُ اللَّهُ مُحكِما للسانه، لا ينطق حتى يتبين.

وتظهر أناته وتثبته في أمور:

منها: حرصه على الاستخارة في جميع أموره، ولاسيما أمور الإصلاح والاحتساب، فكان لا يقدم على أمر تخفى عاقبته إلا استخار، وربما كرر الاستخارة.

ومنها: المشاورة، فكان كثير المشاورة، دائم الرجوع إلى أهل العلم والرأي والخبرة، بل كان كثيرا ما يشاور من هو أصغر منه، بل يشاور أولاده ومن هم في سن أولاده، فكثيرا ما كان يشاورنا في البيت في بعض أمور الدعوة والاحتساب، ويعمل بمشورتنا، ولا سيما في الأمور العائلية والمتّصلة بالشباب ونحوها، هذا مع ما حباه اللّٰه تعالى من عقل راجح ونظر ثاقب وخبرة واسعة، فلم يكن مستبدا برأيه، ولا مستغنيا بخبرته.

ومنها: التوقّف عند الاشتباه، فإذا بذل جهده في دراسة الأمر والاستشارة والاستخارة وظل الأمر ملتبسا عليه لم يجزم بشيء، ولم يُقدِم، وعاود الاستخارة والنظر حتى يتبين له الأمر.

وكثيرا ما كنت أستشيره في بعض خاصة شأني، فيجتهد رأيه، فإذا لم يترجح له أمر سكت، وأرشدني إلى الاستخارة.

❖ المبادرة:

وهذه الخصلة الجميلة مقابلة للخصلة التي قبلها ومتممة لها، فمع تثبّته عند الاشتباه كان مسارعا سبّاقا إلى الخير إذا تبين، بعيدا عن التسويف، يسارع إلى الخير ويعين غيره عليه.

أذكر ـ مثلا ـ أنه ربما تحدث بعض الناس في مجلس بعمل من أعمال الخير التي يود القيام بها لكن لا يدري كيف يبدأ.

ومثل هذه الأحاديث كثيرا ما نتحدث بها وتكون مجرد خواطر لا يتصل بها عمل، لكنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا سمع مثل هذا بادر إلى السؤال عن ذلك العمل، وطريقة القيام به، ثم اتصل بذلك الشخص وساعده على القيام به، أو عرّفه بمن يستطيع مساعدته عليه.

تقول أُختي:

في آخر مكالمة لوالدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وذلك قبل وفاته بثلاثة أيام، وقد بدا في صوته أثر المرض، كان يحثّني على استغلال الاجتماع العائلي بما ينفع، فأخبرته بأننا خصصنا بضع دقائق من الاجتماع للحديث في موضوع إيماني أو تربوي.

فقال مبادرًا: ما الموضوع الذي في بالك الآن؟

قلت: الغفلة والانغماس في الدنيا...

فقال فورا:

لنكتب، أحضري قلمًا وورقة...

ثم أخذ يملي عليّ رؤوس المسائل عن الغفلة، وآثارها، وعلاجها...

كانت هذه آخر كلماته لي.

رحمه اللّٰه رحمة واسعة.

❖ البدء بالأقربين:

كان مع اهتمامه بالإصلاح العامّ معتنيا بأسرته الخاصة، وأقربائه، فأذكر من صِغري أن له عادة في الجلوس للشاي بعد صلاة العصر، وحينا بعد المغرب، وفي هذه الجلسة يكون قد اختار كتابا للقراءة، فيجلس هو وأمي لشرب الشاي، ويُعطي الوالدة كتابا تقرؤه في هذا المجلس، واستمرت هذه العادة بعد أن كبرنا، فكان لا يترك هذه العادة مرة أو مرتين أو ثلاث مرار في الأسبوع، فإذا اجتمع أولاده في المغرب أو بعد العشاء ختم المجلس بقراءة قصيرة لطيفة من كتاب من الكتب، ومن أكثر ما كان يختاره للقراءة: لطائف المعارف لابن رجب، ومختصر صحيح مسلم، والمتجر الرابح في ثواب العمل الصالح للدمياطي، وصحيح الترغيب للألباني، رحمهم اللّٰه.

ومثل ذلك كان يفعل في اجتماع أخواته وزوجات إخوانه، فكان كثيرا ما يختار موضعا من كتاب مناسب لكي يُقرأ في ذلك الاجتماع، ويطلب من والدتي أو إحدى أخواته أو بناته القراءة منه في ذلك المجلس.

وكان يدرّب أولاده على عمل الخير، ومن ذلك:

أنه إذا أراد الذهاب لبيوت الفقراء يعلّق ورقة في البيت يُعلن فيها أنه سيذهب للفقراء اليوم الفلاني، فمن كان عنده شيء يريد الصدقة به فليضعه في مكتبة البيت (مثلا). فيضع الأطفال ما لديهم، ولو ريالا أو ريالات أو حلوى.

وكان يوصي بناته كثيرا بالقرار في البيت. وكثيرا ما كان يستشهد بحديث أم حُميد ـ رضي الله عنها ـ قالت:

قلت: يا رسول اللّه! إني أحب الصلاة معك.

قال صلى الله عليه وسلم:

«قد علمت أنك تحبين الصلاة معي، وصلاتك في بيتك خير لك من صلاتك في حجرتك، وصلاتك في حجرتك خير من صلاتك في دارك، وصلاتك في دارك خير لك من صلاتك في مسجد قومك، وصلاتك في مسجد قومك خير لك من صلاتك في مسجدي». قال عبد اللّه بن سويد (الراوي عنها): فأمرت فبني لها مسجد في أقصى شيء من بيتها وأظلمه، فكانت تصلي فيه حتى لقيت اللّه عزّ وجلّ[(١)].

---

(١) رواه أحمد (٢٧٠٩٠).

وقال لي قبل موته بأيام:

الله تعالى يقول: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾، فالأقربون لهم حق زائد في النِذارة والتعليم وغير ذلك، والإنسان لا يخلو من تقصير في ذلك، فينبغي أن يجبر تقصيره بالدعاء لهم.

❖ قلّة القول وكثرة الفعل:

كان كلامه رحمه الله موزونا، معدودا، كان معرضا عن اللغو، قليل الكلام، فإذا جاء الفعل كان هو الرجل!

وكثيرا ما كان يجالس إخوانه الذي يحملون معه رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله، فيتحدثون ببعض الأمور العامّة المقلقة مما يمر بالمسلمين من الأحداث والمصائب، يتحدّثون حديث التشاكي والتنفيس (الفضفضة)، فيتركهم يتحدّثون وهو ساكت، فإذا رأى أنهم قد نفّسوا عن أنفسهم بالحديث قال:

والآن ماذا نستطيع أن نعمل؟

فيسكتون، ثم يبدأ يُشير إليهم بالأعمال الخيرية الممكنة المثمرة، ويُنشّطهم على القيام بها، ويسعى إلى أن يكون المجلس مجلس عمل، بأن يحدد كل واحد منهم بدقّة ما سيعمل، ولو عملا صغيرا، ثم يواعدهم موعدا يلتقون فيه يكون كل واحد منهم فعل ما التزمه.

❖ إخفاء العمل:

كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ شديد الإخفاء لأعماله الصالحة، لا يتحدث عن جهوده ومساعيه الخيرية، وكنت ـ وأنا ابنه ـ لا أعلم بأعماله إلا بخَبَرِ مَن صاحَبه في تلك الأعمال، أما هو فلم يكن يتحدث بشيء من ذلك.

وليس له ظهور إعلامي، ولا صور منشورة، إلا ما صُوِّر بغير علمه أو بغير إذنه.

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يأتي الولاة، فيناصحهم بأدب وتوقير، ويلقى منهم الإكرام والتقديم على غيره من المراجعين، ولم يكن يُخبِر أو يتحدث بشيء من مجالسه معهم.

وكان إذا أراد أن يتحدث بعمل من أعماله للتشجيع على عمل الخير والإفادة من التجربة كنى ولم يبيّن أنه هو من قام بذلك العمل، فيقول: إن بعض الناس (وهو يعني نفسه) فعل كذا وكذا وحصل بحمد الله من الخير كذا وكذا.

❖ فعل الممكن وعدم احتقاره:

يقعد بكثير من الصالحين عن الإصلاح النظرُ إلى ما يعجزون عنه، والغفلة عما هم قادرون عليه واستقلالُه، أما هو رَحِمَهُ ٱللَّهُ فكان من مبادئه: النظر إلى الممكن، واعتباره هو دائرة الامتحان والابتلاء.

فلذلك كان لا يحقر من المعروف شيئا، ولو كلمة، أو رسالة، أو زيارة.

ومن نصائحه قوله:

مما يقتل الأعمال تطلّب الكمال!

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقدم النصح للمسؤول، ولا يمنعه من ذلك خشية الردّ.

❖ اتّزان الشخصية (إعطاء كل ذي حق حقه):

هذا من أبرز صفاته في نفسي: التوازن بين الحقوق، وعدم تغليب طرف منها على آخر، فكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ مع اهتمامه الكبير بالإصلاح وشؤون المسلمين إذا دخل علينا في البيت كأنه رجل فارغ من الهموم، فيدخل ويجلس معنا ويتحدث حديث الأب، وإذا حج أو دخلت العشر الأواخر من رمضان أقبل على العبادة إقبال عابد لا شغل له سوى العبادة، وإذا رأيت مساعيه الخيرية وقيامه على الأرامل والأيتام ظننت أنه لا شغل له سوى ذلك.

كان رجلا غيورا على دين اللّٰه تعالى، لكن غيرته لم تكن غيرةً مقلقة له، ولا مزعجة لنفسه إزعاجا يخرجه عن التوازن بين الحقوق.

فكان ـ إلى قيامه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ وافر الحظ من العبادة، وصولا للرحم، حسن المعشر، مجيبا لمن

دعاه، محسنا إلى الفقراء، يوافق جلساءه وزملاءه فيما يُحبّون مما لا إثم فيه، لا يمتاز عنهم بشيء.

ومن أقواله:

الناس إذا أرادوا مدح أحد قالوا: فلان شعلة من النشاط! وهذا ليس مدحا؛ لأن الشعلة تنطفئ سريعا، إنما الممدوح هو النور الباقي الذي لا ينطفئ.





الخاتمة

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

قبل وفاة الوالد بشهر تقريبا ألمّ به مرض، فكتمه، وليس من عادته رَحِمَهُ ٱللَّهُ الشكوى، فلم يشعر بمرضه أكثر من حوله، حتى ظهر عليه المرض قبل وفاته بأربع ليال تقريبا، فأراد من عنده أن يذهبوا به إلى الطبيب، وألحّوا عليه في ذلك، فأبى وقال: أنا طيّب والحمد للّه.

وكانت هذه عادته من قبل: يمرض فيرقي نفسه بالقرآن ويصبر حتى يشفيه اللّه تعالى، يفعل ذلك تفويضا وتسليما لأمر اللّه تعالى ورضا باختياره وتوكّلا عليه، أحسبه كذلك واللّه حسيبه.

وله أسوة في الصدّيق رضي اللّه تعالى عنه.

تقول عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: لما اشتد به المرض قيل له: ألا ندعو لك الطبيب؟

فقال: قد رآني الطبيب فقال: إني فعّال لما أريد![(١)]

وروى البخاري ومسلم عن عطاء بن أبي رباح، قال: قال لي ابن عباس: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى، قال: هذه المرأة السوداء، أتت النبي ﷺ فقالت: إني أُصرع، وإني أتكشف؛ فادع الله لي. قال: «إن شئتِ صبرتِ ولك الجنة، وإن شئتِ دعوتُ الله أن يعافيك» فقالت: أصبر[(٢)].

هذا الحديث من أدلة من رأى أنّ ترك التداوي أفضل لمن فعل ذلك توكّلا على الله تعالى وكان قويّا على الصبر.

فلما كان مساء الاثنين اشتد مرضه، فلما أذن المغرب مشى إلى المسجد وصلى جالسا، فلما نودي لصلاة العشاء لم يستطع المشي، فحُمل إلى المسجد وصلى جالسا، وهي آخر فريضة صلاها.

فلما كانت الساعة التاسعة أُغمي عليه، فحُمِل إلى الطبيب، فلما كشف عليه أمر بنقله إلى المستشفى، فدخل المستشفى الساعة العاشرة والنصف من ليلة الثلاثاء، فوُضع في العناية المركّزة، ولما دخل المستشفى أفاق قليلا ثم دخل في غيبوبة

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٧/٩٣).
(٢) رواه البخاري برقم (٥٦٥٢)، ومسلم برقم (٢٥٧٦).

أربعا وعشرين ساعة، ثم توفي ليلة الأربعاء، السادس عشر من ربيع الأول، عام ألف وأربعمائة وواحد وأربعين، رحمه الله تعالى، عن ثلاث وستين سنة وأشهر.

وكان قد قال لنا مرةً:

إذا حضرني الموت فلا يبق عندي أحد، اتركوني وحدي!

ثم قال: إن أحبّت أمكم أن تحضرني فلا بأس.

وكان ما أراد، فلم يحضره وقت وفاته أحد...

وبعد وفاته حرصنا على الإسراع بتجهيزه والصلاة عليه، وكنت أودّ أن ندرك الصلاة عليه بعد صلاة العصر؛ ليكون جمع المصلين عليه أكثر، لكن شاء الله تعالى أن تتأخر إجراءات خروجه من المستشفى فلم يخرج منه إلا عصر الأربعاء.

فاتفقنا على أن تكون الصلاة عليه بعد صلاة العشاء، وأخبرنا بذلك من سأل عن موعد الصلاة.

ثم غُسّل رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وحُمل إلى جامع الراجحي.

فأتينا الجامع قبل أذان العشاء بخمس وعشرين دقيقة تقريبا، فوجدنا جمعا كبيرا من الناس ينتظرون قدوم جنازته، فلما نزلت جنازته من السيارة أحاط بها الناس وتزاحموا على حملها، حتى وضع على السرير، فازدحم عليها الناس يقبّلونه ويدعون له،

ويعزي بعضهم بعضا، حتى كشفوا عن وجهه وقبلوه رَحِمَهُ اللَّهُ، حتى أُذن للعشاء.

فلما كانت صلاة العشاء من تلك الليلة حضر المسجد جمع عظيم للصلاة عليه لم يعهد مثله إلا في جنازة أفراد من أكابر العلماء، فالمعهود في جامع الراجحي أن يصلّى على جنائز كثيرة فلا يمتلئ، أما في تلك الصلاة فقد امتلأ المسجد بمُلحقه الخلفي، وصلى بعض الناس خارج المسجد.

وكأن اللّه تعالى أراد أن يظهر من كرامة هذا الرجل في شهود هذا الجمع العظيم جنازته، فلم يُصلَّ معه على جنازة أُخرى، فلم يجتمع هذا الجمع إلا له.

ولما قام الناس إلى الصلاة عليه بعد صلاة العشاء، قال الإمام:

المتوفّى رجل.

إي لعمري إنه لرجل!

ثم دُفِن ـ رحمة اللّه عليه ـ في مقبرة النسيم، وشيّعه جمع عظيم.

وبعد دفنه تتابع الناس على زيارة قبره والصلاة عليه مدة.

فزرت قبره بعد دفنه باثني عشر يوما، فلما دنوت من القبر جاءني العامل الذي يحفر القبور فبادرني قائلا:

تريد قبر الشيخ؟

قلت: نعم.

فأشار إليه وقال: هذا.

فقلت: تعرفه؟!

فقال: نعم، كثيرون يأتون للصلاة والسلام عليه.

ثم ذهبت إلى مكتب المشرفين على المقبرة، فوجدت اثنين من الموظفين، فسألتهما عن رقم قبره المقيّد في سجلّ المقبرة، فأجاباني بذلك فورا، إجابةَ العارف به من غير نظر في السجلّات.

وحدّثني أحد أصهارنا بمثل هذا: أنه أتى القبر بعد الوفاة بمدة فدلّه عليه العامل حافر القبور.

وبعد وفاته وإلى هذه الساعة بعث إلينا كثير من محبيه وتلامذته بصور لآبار حفروها، وصدقات تصدقوا بها، وعُمَرٍ اعتمروها له.

فرحمه اللّه رحمة واسعة.

فقد كان موته موعظة، كما كانت حياته مدرسة.

وفي يوم وفاته رأى أحد المشايخ الفضلاء في منامه صفحة من القرآن، فيها قول اللّه تعالى ﴿لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ

عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٩٥]!



وكل ما سبق وغيره فهو فضل مِن اللّٰه عليه وتوفيق منه تعالى.

فالحمد للّٰه على ذلك كثيرا، فهو البادئ بالفضل، والمتمّم بالجزاء الحسن.

ونسأل اللّٰه تعالى الذي هداه أن يوفقنا لما وفّقه له، وأن يجمعنا به، وأن يُلحق محبّيه به في دار كرامته، اجتماعا لا فرقة بعده:

﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].

و﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾ [الصافات: ٦١].

اللهم لا تحرمنا أجره، ولا تفتنّا بعده، واغفر لنا وله.



ومن آخر ما كتب: هذه الرسالة، كتبها قبل وفاته بشهرين، وكأنها وصيته إلى إخوانه الـمُصلحين:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّه رب العالمين، وصلى اللّه وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان.

أما بعد:

فههنا مسائل:

١ ـ أن المؤمن عبد لربه، ليس مسؤولًا عن النتائج، عليه أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ـ إذا وجد ما يقتضيه ـ بالطرق الشرعية، والنتائج لم يكلف بها.

٢ ـ يتعاون مع إخوانه الصالحين، ويتواصون بالحق، ويتواصون بالصبر، ومن نَابَهُ شيء من الفتور والتقصير فإنه يُعان على نفسه.

٣ ـ قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ﴾ [الطلاق: ٧]، وقال ﷻ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦] وهذا في جميع التكاليف الشرعية، ومنها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وسماحةُ الشريعة ويسرها يعُمّ جميع واجباتها، ومنها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٤ ـ لا يُحْبَط مِن موقف إخوانه إذا لم يستجيبوا له بالصورة

التي يُؤَمِّلُهَا، مستحضرًا وموقنًا أن الأمر لله، فإن تنشطوا لما تدعوهم إليه فهذا من الله وله الحمد، وإن لم يستجيبوا ـ بصورة أو بأخرى ـ وأخذوا يُكثرون من لوم الواقع، ويكررون عبارات:

تكاثرت الضباء على خراشٍ فما يدري خراشٌ ما يصيدُ

و«اتسع الخرق على الراقع»، ونحو هذه العبارات، أو جامَلوك في طرحك مجردَ مجاملة، لكن تحولت مجالسهم إلى مجالس تشاكٍ وتباكٍ، ولومٍ للواقع وتنديد به، دون مساعٍ جادّة، أو نحو ذلك من الصور، فلا يحبطّك ذلك، أو يفضِ بك إلى العتب على إخوانك وهجرهم، ولا يصرفْك عن السير على منهج أهل السنة والجماعة، متذكرًا ما قاله السلف: «الجماعة ما وافق الحق ولو كنت وحدك».

واحذر أن تُفْرِطَ في إحسان الظن بنفسك، وتزكية كل آرائك ونظراتك واجتهاداتك، فإن هذا مزلق خطير يؤول بالعبد إلى مآلات منكرَة، وقد ينتهي به إلى منابذة إخوانه، والموالاة على نظراته، والمعاداة عليها، وعمومًا فليُحذر مما حذر الله منه أهل الاستقامة ـ على وجه الخصوص ـ، قال الله تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ﴾ [هود: ١١٢].

٥ ـ إذا استصحب العبد ما تقدم، وأدرك «فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» انزاح عن نفسه همٌّ ثقيل، وتَخفف

من أحمال ثقيلة كان يظن أنه مكلف بها وأنه سيسأل عنها، ورجا أن يكون له نصيب من قول الله ﷻ: ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]، فهو يرجو أنه قد اهتدى، لمّا امتثل أمر الله في قوله ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ فقام ـ حسب وسعه ـ بمَا كلف به (وهو نفسه هو)، أما نفوس من يُنْكِر عليهم وقلوبُهم فلم يكلف بها ولله الحمد.

وصار يستحضر نعمة الله عليه حيث وفّقه لهذه الطاعة وهذا الباب الذي فات كثيرًا من الناس، ويسأل الله المزيد من فضله وتوفيقه، وكان له نصيب من الحياة الطيبة حياة السعادة والأنس وانشراح الصدر الموعود بها في مثل قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]، ومن ثَمَّ كان هذا سببًا في ثباته على هذا الطريق، وفي كونه لا ينتقل عن حال إلا إلى ما هو أفضل منها، فهو في زيادة خير إلى أن يأتيه اليقين.

مما يعينه ويثبته:

الذين يَثْبُتون: المتعبدون لله حقًّا، قال الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [إبراهيم: ٢٧] الآية، ومن أسباب الثبات:

١ ـ الاجتهاد في الطاعات؛ اعتناءً بالفرائض، واستكثارًا من النوافل.

٢ ـ طلب العلم، وتحري سنة رسول اللّه ﷺ في جميع شؤونه.

٣ ـ إعطاء كل ذي حق حقه.

٤ ـ المشاورة.

كل حال لها عبوديتها.. فمن الفقه استحضارُ أن من لم يتأتَّ له أكمل حال ـ في الإصلاح ـ انتقل إلى ما دونها، وهكذا، ولا يتحاقر ما أُتيح له من فرص أو أسباب ولو كانت توصف بأنها ضعيفة التأثير، فهذه إذا لم يمكن إلا هي فتركها نقص في العلم وقصور في الحكمة، أو أن المسألة فيها ـ كما يقال ـ: هوى خفي.

ومن الفقه: الانتقال أحيانًا إلى باب آخر من أبواب الإصلاح، كالدعوة والوعظ وتأليف الكتب والرسائل ونشرها، ونحو ذلك، وهذا إذا لم تتأتَّ الحال الكاملة للاحتساب، وهي «الأمر بالمعروف، و«النهي» عن المنكر، ويحذر من «الهوى»، ويراعي في ذلك «فقه الموازنات».

من المهم إدراك الأبواب الجوامع للإصلاح، ومنها:

إقامة الصلاة، قال اللّه تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

ومنها: نشر العلم الشرعي، قال ابن عباس رضي الله عنه في قصة

قوم نوح لما صوروا صور الصالحين: «فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك، وتنسّخ العلم عُبدت»[(١)].

ونشْر العلم يكون: بترغيب الناس في طلبه، وبيان مسيس حاجتهم إليه، وحث العلماء على تعليم الناس، وإقامة الحلق والدروس والدورات، وتعاهد مَن في «الأطراف»، يُستضافون لهذه الدورات، ويُؤَمَّنُ لهم السكن وما يحتاجونه، ويُتعاهدون أثناء العام.

ومن أبواب الإصلاح: الاعتناء بالتعليم النظامي، بالتواصل مع مسؤوليه، وإمدادهم بالمقترحات والمشاريع النافعة، والاحتساب على ما يحتاج احتسابًا، وإعداد مسابقات تؤمَّن جوائزها، فلها أثر في الإصلاح.

ومن وسائل الإصلاح ـ وهي كثيرة جدًّا ولله الحمد ـ:

١ ـ عيادة المرضى، ورقيتهم، وتعليمهم ما يحتاجون من أحكام.

٢ ـ الاعتناء بالمساجين، بمساعدة من يحتاج مساعدة، بالشفاعة، ورعاية من خلّف وراءه من عوائل محتاجة، وبالتعاون مع الجمعيات المتخصصة في هذا الشأن، ونحو ذلك.

٣ ـ إنشاء جمعيات خيرية، وأخذ تراخيص لها.

---

(١) رواه البخاري (٤٩٢٠).

٤ ـ الاعتناء بالأوقاف، بِحثّ الناس على أن يوقفوا، وبتوجيه مصارف الأوقاف التوجيه الأمثل.

ويُنبه الناس على أن الأوقاف ليست حصرًا على الأثرياء؛ بل كل شخص يمكن أن يكون له سهم في الأوقاف، بحسب ما تيسر له.

٥ ـ التواصل مع مراكز الهيئة ومسؤوليها، ورفع هممهم ومعنوياتهم، وتذكيرهم أن ما هم مكلفون به: ما هو متاح لهم، فليستثمروه بأتم ما يمكن، ولا يثبطِّهم أنهم منعوا من كذا ومن كذا؛ بل يستحضرون المجالات الكثيرة التي ما زالوا مُمَكَّنين منها ولله الحمد، وليحذروا من شرور أنفسهم وشر الشيطان وشِرْكه وحيله.

٦ ـ التواصل مع مكاتب الدعوة ومسؤوليها، وتذكيرهم ورفع هممهم، وحثهم على أن يزداد عطاؤهم، وأن تواكب مساعيهم وبرامجهم المستجدات التي يمر بها المجتمع، وإمداد الدعاة ومسؤوليها والخطباء بالموضوعات التي قد تحتاجها المجتمعات أكثر من غيرها، وتزويدهم بما يتيسر من الدراسات والإحصاءات والبرامج العملية، وكلما كانت المقترحات المقدمة لهم مدونة كان ذلك أبلغ في الاحتفاء بها والاستفادة منها.

ونحو ما تقدم فإن هذا الباب ـ باب وسائل الإصلاح ـ واسع ولله الحمد.

وليحذر المسلم مما يسمى: «الهوى الخفي»، وليتعوّذ بالله من

شر نفسه وشر الشيطان وشركه، ولا تستهوِه هذه الأعمال ونحوها فتصرفه عن أعمال الاحتساب ـ المتاحة له ـ في الحال التي تكون هذه الأعمال الدعوية مفضولة، ذلك أن هذه الأعمال الدعوية ـ غالبًا ـ أقرب إلى هوى النفس.

وكل ما ذكر ـ من المقترحات الدعوية ونحوه ـ هو في الحال التي لا يتيسر فيها شيء من صور الاحتساب (بمعناه المطموح إليه).

ونسأل الله العافية، ونعوذ به من استباق البلاء، ونعوذ به من كفر النعمة؛ إذ إن الواقع ـ ولله الحمد ـ لا زالت فيه مساحة طيبة لممارسة كثير من المساعي الاحتسابية، كما هو حاصل، وكما هو مشاهد ولله الحمد...

هذا والله أعلم، وبالله التوفيق، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، والحمد لله رب العالمين.

فهد بن سليمان القاضي

محرم/١٤٤١

تم بحمد الله



الفهرس

